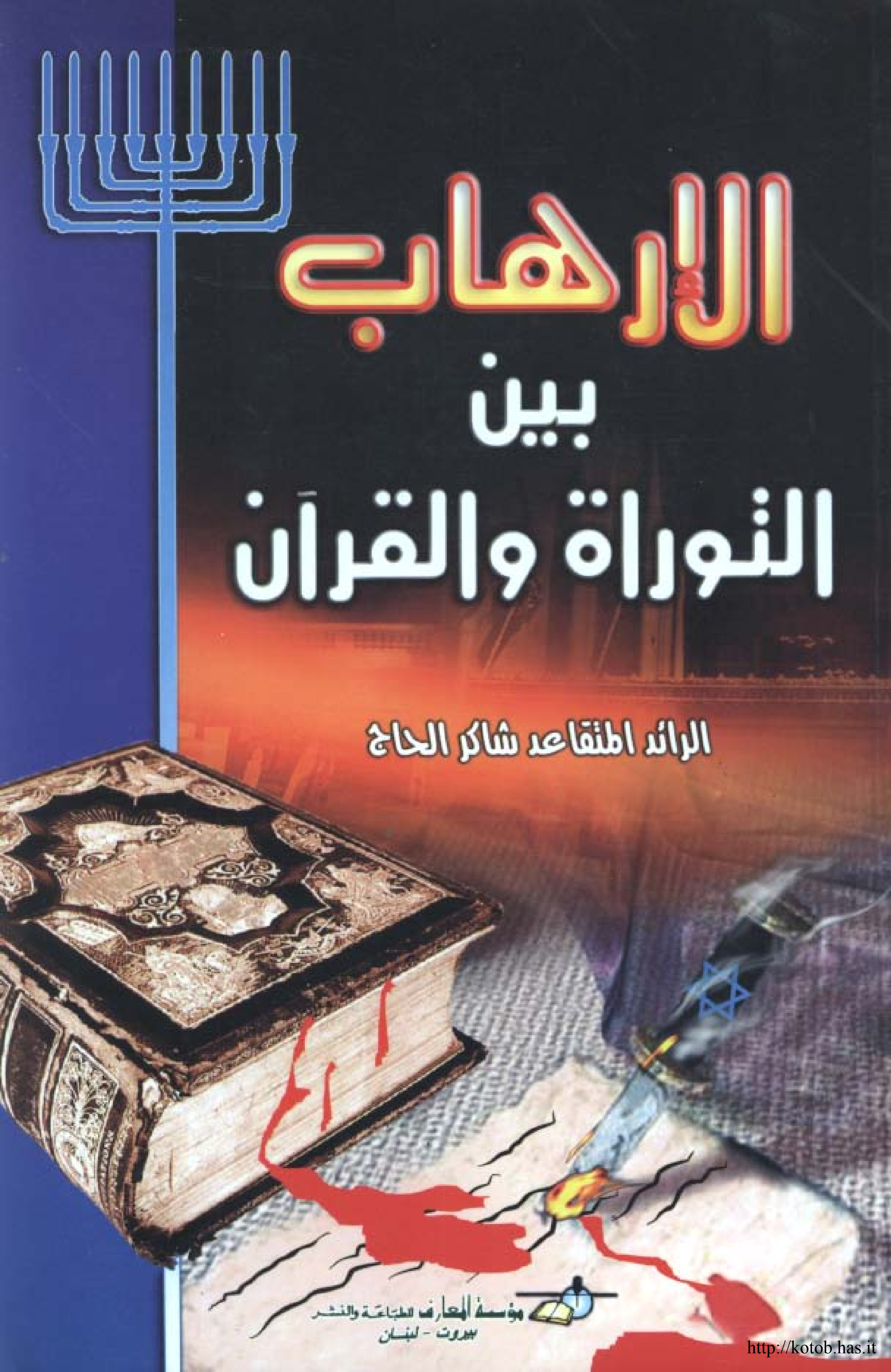

الإرهاب
بين
التوراة والقرآن
الرائد المتقاعد شاكر الحاج
مؤسسة المعارف للطباعة والنشر
بيروت - لبنان
http://kotob.has.it


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى زوجتي بشرى، وأبنائي، ناريمان، باسم، نسرين وأحمد، وإلى أحفادي ياسمين محمد وعمر، وإلى كل مسلم مؤمن، وخاصة أطفال أمتي الذين أصبحوا من ضحايا الغدر الصهيوني ـ الأميركي والحليف، أهدي هذا الكتاب، طالباً منهم السماح على تقصير الأمة الإسلامية التي سيكتشفون أنها خذلت طموحاتهم المتواضعة طيلة عدة قرون، مناشداً إياهم أن يعذروا تخاذلنا، ويعملوا على غسل عارنا المهين، الذي خلف لهم أثقل الأحمال التي ستواجههم في غدهم، طالباً منهم الدفاع عن عقيدتهم التي شوهها أهلهم، علهم يستطيعون أن يعيدوا للإسلام دوره الريادي في قيادة الشعوب المؤمنة إلى ما يرضي الله ﷻ، ويرفع رؤوسهم بين الأمم.





تنويـــه

قبل أن أبدأ البحث وجدت نفسي مضطراً أن أبين هويتي لأنني على يقين من أن اليهود سيعتبرونني معادياً للسامية بمجرد تسليط الضوء على واقعهم المعادي للبشرية جمعاء. فمن أنا وما هي هويتي؟

أنا مواطن عربي مسلم، من أسرة عربية مسلمة، تعود أصولها إلى بلاد الحجاز موطن أمة إسماعيل بن إبراهيم ﷺ، ومتحدر منها.

وحسب التوراة، نجد في الإصحاحين السابع عشر والحادي والعشرين من سفر التكوين، أن الله ﷻ بارك إسماعيل وأثمره وأكثره كثيراً جداً، كما هدى والدته هاجر إلى بئر ماء لتسقيه عندما أضناه الظمأ في الصحراء، وكان معه حتى كبر.

وبما أننا من أمة إسماعيل بن إبراهيم ﷺ، واليهود من نسل إسحق بن إبراهيم ﷺ، فكلانا ننتسب إلى جد واحد الذي هو إبراهيم والذي ينتسب بدوره إلى سام بن نوح ﷺ.

فلست أنا من أمة تتنكر لأصولها، سيما وأن هذه الأمة تؤمن بجميع الرسالات السماوية، وتتبع ما أنزل على جميع الأنبياء من ربهم دون أية تفرقة أو انتقاء، فلم تعص في يوم من الأيام أنبياء الله ورسله، ولم تكذبهم أو تتمرد عليهم أو تقتلهم، كما فعلت أمم من قبلهم فاستحقت غضب الله ﷻ.

وبناء على ذلك لا يقبل المنطق أن أكون معادياً للسامية لأنني بذلك أعادي نفسي وأتنكر لأصلي، هذا إذا كانت معاداة السامية خطيئة كما يروج لها البعض ممن يعادون كل ألوان البشرية في سبيل مصالحهم الخاصة.



تمهيـــد

شهد القرن العشرين حربين عالميتين، وسلسلة من الحروب الإقليمية والدولية، وبعض الثورات العقائدية، والانقلابات العسكرية، وغيرها من الحروب العرقية والإثنية.

أوْدت هذه الحروب بحياة الملايين من الناس، واستعملت فيها كافة أنواع الأسلحة وآلات الدمار والفناء، والتي كان من أخطرها الأسلحة النووية والكيماوية والجرثومية، فأبيدت مدن بكاملها، وهجرت شعوب وأمم، وعمت الهمجية معظم دول العالم.

وبالرغم من فظاعة هذه الحروب وأهوالها بقيت نتائجها المروعة ومخلفاتها الرهيبة من القتل والدمار في القاموس الدولي دون مستوى الإرهاب، فسُمي منفذوها بالمعسكرات والأحلاف، وسُمِّي مناهضوها بالثوار ليس إلّا، حتى ما تعرض له اليهود على أيدي النازية ـ إن صح تدوينه ـ لم يسمَّ إرهاباً نازياً في تلك الحقبة بل صنف تحت اسم المحارق النازية ضد اليهود.

لم تتبلور فكرة الإرهاب لدى المجتمع الدولي إلا في أواخر القرن العشرين، وتحديداً بعد اغتصاب اليهود لفلسطين وإقامة دولة إسرائيل على أرضها بدعم من الدول الاستعمارية التي تهيمن على قرارها الصهيونية العالمية.

أدى هذا الاحتلال إلى زرع روح المقاومة لدى الشعب الفلسطيني وبعض الشعوب العربية، فتأسست حركات التحرير، وبدأت توجه الضربات العسكرية لإسرائيل، التي وصفت منفذيها من المجاهدين بالمخربين، كونها لم تكن قد ابتدعت بعد فكرة التسمية الإرهابية.

نتج عن الاحتلال الصهيوني لفلسطين عدة حروب عربية إسرائيلية،

خسرت الحكومات العربية معظمها، لعدة أسباب أهمها، الشرذمة العربية، والدعم الأميركي العسكري والاقتصادي لإسرائيل.

لم يبق الموقف الأميركي من هذا الصراع موقف الداعم والمؤيد لإسرائيل فحسب، بل تعداه إلى التدخل العسكري المباشر ضد الأمة الإسلامية في عدة دول كأفغانستان والعراق وليبيا والسودان وغيرها، فولد هذا التدخل نقمة إسلامية على هذه السياسة الأميركية والحليفة، أدت إلى خلق حالة من الصدام المسلح بين المسلمين أصحاب الأرض والأميركيين المعتدين ومن يدور في فلكهم.

ففكرة الإرهاب المتداولة حالياً في العالم هي فكرة حديثة التكوين كهدف استراتيجي للقوى الاستعمارية، يخفي في طياته الكثير من التناقض والإبهام، ويتجه باتجاه واحد متمثل بالحرب على الإسلام، لأسباب ودوافع عديدة أهمها:

حماية الكيان الصهيوني في دولة إسرائيل.

استغلال الطاقات الاقتصادية للعالم الإسلامي الذي يسيطر على أهم مصادر الطاقة في العصر الحديث المتمثل بالبترول.

تدمير عقيدة الجهاد الإسلامية الرافضة للاحتلالين الأميركي والصهيوني.

بعد تفكك الاتحاد السوفياتي، خلا الجو لأمريكا وحلفائها فبدأت تعد العدة للسيطرة على العالم بادئة بألد أعداء حليفتها إسرائيل المتمثل بالعالم الإسلامي.

فلأي سبب ستحاربه؟

وكيف تستطيع تأليب الرأي العام العالمي ضده؟

وهل تستطيع محاربته علناً بسبب أحد هذه الأهداف؟

أ ـ لحماية إسرائيل كقاعدة متقدمة لقوى الاستعمار في الشرق الأوسط؟

ب ـ أم لشن حرب دينية صليبية كما صرح الرئيس بوش بعد أحداث ١١ أيلول سنة ٢٠٠١؟

ج ـ أم تحاربه بهدف صريح لاحتلال منابع النفط الموجودة فيه؟

ففي جميع هذه الحالات لا تستطيع الولايات المتحدة الأميركية أن تقنع العالم بصوابية وشرعية هذه الأسباب، فما هو الخيار الذي ستتبعه غير بدعة محاربة الإرهاب التي تسترت وراءها وبدأت تروج لها مع حليفتها إسرائيل بجملة من الأكاذيب والأضاليل ضد العالم الإسلامي، وتوّجته بالحرب على أفغانستان واحتلال العراق بحجة القضاء على الإرهاب ونزع أسلحة الدمار الشامل، التي لم تجد لها أثراً حتى اليوم، ورغم كذب ادعاءاتها لم تتوقف عند هذا الحد بل تابعت استفزازاتها لسوريا ولبنان وإيرن والشعب الفلسطيني، كونهم لا يزالون يشكلون خطراً مباشراً على الأهداف التوسعية للصهيونية العالمية.

فافتعلت مع إيران مشكلة المفاعلات النووية المنشأة لأغراض سلمية كونها ممنوعة على أعداء أميركا وإسرائيل.

واتهمت إيران وسوريا برعاية الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط لأن المقاومة ضد التوسع الإسرائيلي ممنوعة هي أيضا.

وصنفت المقاومة اللبنانية والفلسطينية كمنظمات إرهابية.

واعتبرت من الممنوعات أيضاً إنشاء وتسليح أي جيش في بلد إسلامي إذا كانت عقيدته القتالية تقر بمبدأ محاربة التوسع الإسرائيلي ومقاومة الإحتلال الأمريكي.

جندت الصهيونية العالمية جميع أجهزتها الإعلامية لتصور الدول والمنظمات الإسلامية التي لا تدور في فلكها على أنها تمارس الإرهاب أو ترعاه حسب فلسفتها العدوانية، ونصبت نفسها راعياً نزيهاً تطوع لفرض الأمن والسلام والديمقراطية، التي تجلت بأبهى صورها في أفغانستان والعراق حيث تخلد نفوس أبنائهم وأبناء أفغانستان والعراق بالعشرات يومياً إلى السلام الأبدي بفعل ديمقراطية القتل والإبادة التي تسطرها مدافعهم وآلات دمارهم.

ففي معادلة كهذه أتساءل:

من الظالم ومن المظلوم؟

من المجرم ومن الضحية؟

من المجاهد ومن الإرهابي؟

فلا أجد جواباً إلا في قول الإمام علي بن أبي طالب ﷺ حين قال: (لعن الله قوماً ضاع الحق بينهم).

○○○○○



بدعة الإرهاب

كنا قد ذكرنا أن بدعة الحرب على الإرهاب بمفهومها الحديث تخفي في طياتها الكثير من الأهداف التوسعية الصهيونية والعدوانية الأميركية الإستعمارية، ومن سوء حظ العالم الإسلامي أنه موجود في منطقة تتوسط العالم جغرافيا، وتسيطرعلى مجمل احتياطي النفط العالمي، لذلك فإن أنظار العالم بأجمعه تتوجه نحو هذه المنطقة الاستراتيجية وتطمع بمواردها الاقتصادية، يساعدها في ذلك ضعف القدرات العسكرية لدول المنطقة من جهة، وعدم انتظام الأمة الإسلامية ضمن هيكلية موحدة تؤهلها الدفاع عن أراضيها في حال تعرضها للأخطارالخارجية من جهة أخرى.

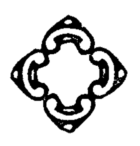
إضافة إلى ذلك ساهمت بعض الأنظمة العربية والإسلامية المهادنة لإسرائيل في خلق الظروف المناسبة لبلورة بدعة الإرهاب بتخليها عن المطالبة بحقوق الشعب الفلسطيني في أرض فلسطين من جهة، وقمعها للحركات العقائدية المناهضة لعقيدة التوسع الصهيونية من جهة أخرى، حيث أصبحت هذه الحركات موضع ملاحقة في العديد من الدول الإسلامية، مما أدى إلى خلق بعض الصدامات المسلحة بين هذه الحركات والدول التي تنتمي إليها، وأصبحت بعض الدول الإسلامية تقتنع بضرورة قمع هذه الجماعات ومحاربتها، وبذلك وافقت على وصف كفاحها المسلح بالعمل الإرهابي.

استغلت إسرائيل هذه الظاهرة وبدأت تعد العدة للقضاء على عقيدة الجهاد الإسلامية كونها تشكل الخطر الأكبر على أطماعها التوسعية، فأطلقت بدعة الإرهاب على هؤلاء المجاهدين وعممتها على جميع حلفائها الإستعماريين.

إذا وجدت الذريعة لإعلان الحرب على الإسلام، وبدأ التنفيذ في البلقان والشيشان وأفغانستان والعراق وفلسطين، ولا يعرف أحد من قادتنا إلا القلة ماذا بعد؟ لأن بعضهم لم يتعلم من التاريخ، والبعض الآخر لايعلم شيئاً عن العقيدة الصهيونية العنصرية.

وبما أن إسرائيل أصبحت واقعاً في قلب العالم الإسلامي، وإنشاؤها كان تنفيذاً لوعد إلهي توراتي كما يدعون، لذلك رأيت من واجبي معالجة الموضوع من نفس المنظور الديني الذي يستندون إليه، بغية توضيح ما جاء في الكتب السماوية بالنسبة للعلاقات بين الأديان، وحق اليهود في دولتهم المزعومة، وتحريفهم للتوراة حتى أصبحت تتلاءم مع عقيدتهم العدوانية.





الإسلام والإرهاب

لم يمض يوم من السنوات العشر المنصرمة إلا وكنا نسمع ونقرأ العديد من المقالات التي تتهم الإسلام والمسلمين بالإرهاب، فتارة يُتهم به المسلمون المتشددون وطوراً المسلمون الأصوليون، حتى حجاب المرأة المسلمة أصبح موضع أخذ ورد في مختلف المجتمعات الأميركية والأوروبية، وكوني من بيئة مسلمة ملتزمة بشرع الله ﷻ وقد عايشت ما يحاك ضد أمتي من المؤامرات وما ينفذ عليها من التعديات على حرمات أوطانها ومقدساتها في جميع أنحاء العالم، وكوني على يقين من أن الإرهاب الفعلي هو صنيع الصهيونية العالمية ومن يدور في فلكها من الدول الإستعمارية، لذلك عملت على التفتيش عن مكمن العله في هذه الهجمة الشرسة على الأمة الإسلامية.

من هذا المنطلق بدأت دراسة متأنية للتوراة والإنجيل والقرآن، مركزاً على كل ما فيها من الآيات والتعاليم المنظمة للعلاقات بين مختلف الأمم والشعوب، فوجدت أن الإسلام المستند إلى تعاليم القرآن الكريم هو أبعد الأديان السماوية عن الظواهر الإرهابية.

ولكي لا أتهم بعدم الموضوعية رأيت من واجبي تسليط الضوء على نوع من الإرهاب يمارسه بعض المنتمين إلى الإسلام لدوافع غير دينية، ولكنهم يتسترون وراء الدين لكسب المؤيدين واستنفار عواطف المسلمين، وغالباً ما تكون هذه المجموعات مدفوعة وممولة من بعض أجهزة المخابرات المحلية أو الدولية العاملة على تعميم الإساءة للإسلام والمسلمين على حد سواء.

ففي حال تنفيذ أي عمل إرهابي تحت ستار الإسلام يمكننا القول مباشرة أن الجماعة التي نفذته ليست جماعة إسلامية بالمفهوم الإيماني، بل بالتأكيد

أنها جماعة متسترة بالدين ولا تمت لأي دين بصلة لا من قريب ولا من بعيد؛ لأن الأديان لم تفرض القتال دفاعاً عن الإيديولوجيات الوضعية أو في سبيل السلطان ومكتسباته المادية، بل فرضته فقط في سبيل القضاء على الكفر والكافرين ونشر الإيمان بالله، كما أن القتال في سبيل الله لا ينحدر مستواه ليصبح إرهاباً وتخريباً وتنكيلاً وقتلاً للمدنيين الأبرياء.

لذلك يجب علينا التأكيد أن أية عملية إرهابية يرتكبها فرد أو جماعة ممن يدينون بالإسلام لا يجوز وصفها بالإرهاب الإسلامي؛ لأن الدين الإسلامي يقدس النفس البشرية ويحدد علاقات الإسلام بباقي الأديان على أساس من التفاهم والاحترام المتبادل.

ففي القرآن الكريم تتناول آيات عدة جوهر العلاقة بين المسلم وباقي المؤمنين من معتنقي الأديان السماوية التي يلتزم المسلم المؤمن بتطبيقها وإلا اعتبر مخالفاً لأمر الله ﷻ، ففي الآية ٦٤ من سورة آل عمران يقول تبارك وتعالى:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

ويقول سبحانه في الآية ٤٦ من سورة العنكبوت: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

آيتان بينتان من كتاب الله ﷻ تحددان أطر العلاقة التي يجب على المسلم المؤمن انتهاجها في تعاطيه مع أهل الكتاب الذين يتبعون فعلاً رسالة منزلة في كتاب سماوي كالتوراة والإنجيل، فكيف يمكن للمسلم المؤمن أن يكون إرهابياً يبيح لنفسه ما حرم عليه الله ﷻ من قتل للأنفس البريئة، أو تدمير للمقدرات الحيوية اللازمة لاستمرار الجنس البشري، ما دام كتابه يأمره أن لا يجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، ويدعوه أيضاً إلى الاتحاد الإيماني

مع غيره في كلمة سواء تدعو إلى عبادة الله الواحد، والإيمان بما أنزل إلى المسلمين وما أنزل إلى أهل الكتاب ما دام الإله المعبود هو الله العلي القدير رب العالمين جميعاً.

ولكن هذا التكليف استثنى الذين ظَلَموا من هذه الأخلاقية، وبالطبع هذا هو حال إسرائيل وأميركا لأنهم أرباب الظلم في العالم المعاصر.

فكلمة إرهاب بمفهومها المتداول عالمياً لا وجود لها في القاموس الإسلامي لأن الأمة الإسلامية أمة جهاد في سبيل الله، وليست أمة إرهابية كما يصفها الصهاينة والمستعمرون الذين زوّروا التاريخ والمفاهيم ليتمكنوا من إدانة المقاومة الإسلامية التي تواجه أطماعهم التوسعية النابعة من غرائزهم العدوانية.

لهذا السبب تتهرب القوى الاستعمارية حتى الآن من إيجاد تعريف موحد للإرهاب حتى تستطيع إكمال مخططاتها العنصرية الغرائزية ضد الأمة الإسلامية، ففي غياب التحديد الدقيق للإرهاب يستحيل تصنيف الأعمال العسكرية المنفذة من قبل مختلف الجماعات المسلحة، فتختلط عمليات المقاومة المشروعة بعمليات الجماعات العنصرية وعمليات الميليشيات والجيوش.

إضافة إلى ذلك يضيع مفهوم الانتماء ويخلق مشكلة أكثر تعقيداً، في تحديد هوية المقاومة المشروعة، خاصة عند اليهود والمسلمين.

فلمن ينتمي اليهودي الأميركي، أو الفرنسي، أو الروسي، أو غيره؟

وهل يمكنه أن يخلص لولاءين في آن واحد، أولهما وطني يرتبط بمكان ولادته وإقامته، وثانيهما وطني قومي ديني يرتبط بإسرائيل؟

ولمن ينتمي المسلمون في ممارسة مفهوم المقاومة المشروعة؟

وهل يجب أن يحصروا ولاءهم بالحدود الجغرافية التي رسمها لهم نفس المستعمرين الذين يقاومونهم اليوم، أم أنهم يعتبرون أي اعتداء على الأمة الإسلامية مشمولاً بحق الدفاع المشروع؟

أسئلة كثيرة ستبقى دون أجوبة، طالما ابتعد المسلمون عن تطبيق تعاليم

دينهم، وطالما لم تتطوع العدالة الدولية وتضع التشريعات اللازمة للمفاهيم الإرهابية.

هذا بالنسبة للمسلمين المؤمنين بالله ﷻ وبجميع رسله والكتب السماوية المنزلة إليهم من ربهم، أما فيما خص غيرهم من الكتابيين فإن الصورة يجب أن تكون نفسها، لو أن كتبهم بقيت كما أنزلت على أنبيائهم ولم تمتد اليها أيديهم لتحريفها بما يتلاءم مع سياسات القيمين على أمورهم لأسباب عنصرية وعدوانية نراها موضحة في عدة أجزاء لاحقة عندما نتوسع في بحث بعض المفاهيم التوراتية والتلمودية التي تبيح القتل والتنكيل لأسباب دنيوية تتعلق بالملك والسلطان.

○○○○○



الإنسان والتكليف الإلهي

يوم خلق الله ﷻ آدم عليه السلام وأسكنه الجنة وسوس له الشيطان فأخرجه منها، ثم بعد ولادة قايين وهابيل قتل الأول الثاني، وبعد ذلك أتى الطوفان على قوم نوح و حصل ما حصل لقوم لوط وأهل سدوم وعامورة وغيرهم ممن ذكروا في جميع الكتب السماوية.

كل ذلك كان نتيجة لعدم التزام العباد بأمر الله ﷻ، مما يؤكد أن النفس البشرية منذ نشأتها الأولى تميل إلى اقتراف الخطايا. فالله ﷻ يقول: في القرآن الكريم في الآية ٥٣ من سورة يوسف: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾﴾.

فالنفس إذاً أمارة بالسوء إلا إذا دخلت في رحمة الله ﷻ، وللدخول في هذه الرحمة وجب على الإنسان أن يلتزم بطاعة الله ﷻ، باتباع ما أنزل منه على أنبيائه ورسله، وهذا الاتباع يجب أن يكون خالصاً لله بعيداً عن نزوات النفس وهواها، ولكن مع الأسف فإن أكثر الناس يتبعون أهواءهم فتظهر إشكالية اختلاف الأهواء وتضارب المصالح وتبدأ أولى خطوات التفرقة بالظهور فتؤدي إلى التباعد بين أبناء البشر كلما ضعف التزامهم بالتكليف الإلهي المنزل في الأديان السماوية.

فليست تعاليم الأديان الحقة مصدر حروب وصراع ولكن ضعف الالتزام بها يولد التعصب والأنانيات المتناقضة فتستعمل العقيدة الدينية كوسيلة لحشد الناس ضد بعضهم البعض فتعلَن باسمها الحروب وترتكب في ظلها الفظائع والويلات.

إذاً لا تناقض في الالتزام بأخلاقيات الأديان.

ولاتباعد مع الإيمان بالله ورسله؟.

وفي المقابل:

لا سلم مع التعصب والإلحاد.

ولا تآلف مع مرتكبي المعاصي والآثام.

ومن هنا تبدأ الخطوة الأولى على طريق الفرقة التي تقود إلى الخصام والقتال بين المؤمنين والكفار.

○○○○○



لماذا الأديان

لا يستقيم مجتمع مهما صغر أو كبر إلا بمجموعة من الضوابط التي تحدد كافة العلاقات الكفيلة باستمراريته وديمومته؛ لأنه بغياب الضوابط تختل بنية المجتمع التنظيمية وتتفكك أواصره إلى مجموعات صغيرة، غالباً ما تتناحر في سبيل مصالحها الضيقة، فيسيطر القوي على الضعيف، ويعم الظلم والفساد، ويسود الحقد والكراهية جميع أفراد هذه المجموعات.

ففي سبيل النهوض بأي مجتمع وجب عليه الالتزام بأحد قانونين أو بكليهما معاً.

القانون الإلهي:

هو القانون المتمثل بالدين، ذلك المنظم العام لأطر العلاقات البشرية، بكل ما فيه من الشرائع والسنن التي تبدد الظلم وتبلور الحقوق والواجبات في العلاقات الإنسانية، وهذا القانون الإلهي يهدي بدوره إلى معرفة الخالق، وطريق عبادته، وصولاً إلى سمو النفس المؤمنة، التي يضعها الالتزام ضمن المسار الصحيح المؤدي إلى نعيم الأبدية.

والقانون الإلهي هو ذاته الدين السماوي المشتمل على جميع التشريعات المفروضة على النفس البشرية لتهذيبها بالطاعات المفروضة عليها لله ﷻ، لتقيد ميولها الغرائزية، التي تقودها إلى ارتكاب المعاصي والآثام، وخاصة فيما يتعلق بغرائز الجنس والتملك والعدوانية.

وبما أن أتباع جميع الديانات السماوية يقرون بيوم الحساب أو الدينونة، بات لزاماً عليهم تطبيق تعاليم أديانهم والالتزام بها أبد الدهر حتى يخلصوا أنفسهم بالدرجة الأولى، ويحافظوا على حقوق المجتمعات البشرية بالدرجة الثانية.

فبالخروج عن طاعة الله ينقاد الإنسان لشهواته الغرائزية ويدخل في صراع محتم مع المؤمنين المتمسكين بطاعة الله، وما الحرب المعلنة على الإسلام في يومنا هذا إلا الصورة الدقيقة للواقع العالمي الذي أصبح يضطهد المسلمين لأنهم الأمة الوحيدة التي لا تزال تتمسك بدينها كما أنزل من الله ﷻ؛ لأن القرآن الكريم الذي يطبقون تعاليمه لم تطله حتى اليوم أيدي المحرفين رغم المحاولات المشبوهة لليهود والأميركيين، فبقي منزهاً عن عبث العابثين الذين مارسوا التحريف على الكتب السماوية المنزلة قبل القرآن.

وكون المذاهب الوجودية والمادية ونظريات الحداثة والميكافيلية والداروينية وغيرها من النظريات الفلسفية تبتعد في فلسفتها عن مفهوم الدين والإيمان، وتقترب من منهج إشباع غريزتي التملك والعدوانية، مما يجعلها بعيدة عن مفهوم تطبيق العدالة الاجتماعية في سبيل تغذية الحاجات الغرائزية لأتباعها ومؤيديها، فتدخل بذلك في دائرة التناقض مع المؤمنين الملتزمين بتطبيق شرع الله، وهذا التناقض لا يمكن المساومة بشأنه لأنه يتعلق بجوهر العقيدة الدينية، فغالباً ما يؤدي إلى صدامات عسكرية بين المؤمنين والوجوديين.

ونظراً لاتباع معظم الدول الاستعمارية اليوم لنظريات الفلسفة الوجودية فقد أصبحت آلتهم العسكرية تشكل خطراً أكيداً على المؤمنين أينما وجدوا في جميع أرجاء العالم، فكيف يكون الحال إذا بلغوا من القوة العسكرية ما بلغته أميركا وبريطانيا والصهيونية العالمية وغيرهم ممن يمثلون الخطر الداهم على السلامة الإنسانية، فسلاحهم والحالة هذه يهدم البشرية، وطمعهم للمادة يدفعهم إلى اغتصاب حقوق الآخرين، وسياساتهم الهدامة وصمة عار في جبين الفكر السياسي للعالم الحديث، وعقائدهم مفسدة لكل الأمم التي يقودونها أو يسيطرون عليها، ومع ذلك يتوشحون بوشاح الحرية ويتغنون بديمقراطية القتل والإبادة، ويبقى المسلمون المؤمنون بنظرهم راتعين في غياهب التخلف والاستبداد، فقط لأنهم لا يزالون يؤمنون بالله ويهتدون بهدي قرآنه، مما يجعلهم يرفضون الانصياع للنظام العالمي الجديد المبني على العقيدة العنصرية

المرفوضة في المفاهيم الإسلامية، وبسبب سياسة عدم تقبل الآخر المتبعة في العلاقات الأميركية الصهيونية مع باقي الشعوب، يصبح من المسلمات بروز العداوة بين المسلمين المؤمنين وبين العالم الاستعماري.

القانون الوضعي:

هو القانون الذي يحدد الأطر القانونية الواجبة الاتباع لتأمين التنسيق بين أفراد المجتمع في العلاقات الدنيوية فقط، دون أن يأخذ بعين الاعتبار حاجة النفس البشرية التي فطرت على العبادة حتى قبل بعث الأنبياء ونزول الوحي عليهم، حيث كان الإنسان يعبد الشمس أو القمر أو النار وحتى الأصنام التي كان يصنعها بيديه.

وعيب هذه القوانين الوضعية أنها تخالف في كثير من الأحيان الإرادة الإلهية فتحلل المحرمات ـ كالزواج بين أفراد الجنس الواحد، والزواج الجماعي في بعض الدول الغربية ـ وتحرم ما أحل الله. وبالتالي فإن سلبياتها تطغى على إيجابياتها في معظم الأحيان لعدم عدالتها وكفاءتها في تأمين كافة المستلزمات القانونية والروحية اللازمة لرعاية مختلف حركات المجتمعات البشرية.

كما يشترط لاتصاف هذا النوع من القوانين بالعدالة أن يعبر عن آراء وتطلعات جميع الشعوب المنوي تطبيقه عليها، ولا يتم ذلك إلا بمشاركة فعالة من جميع الدول في صياغته وإقراره حتى يكون ملائماً وقابلاً للتطبق، وإلا كيف يمكننا أن نتقبل قانوناً وضعياً أقر في الكونغرس الأميريكي بمفاهيم أميركية وثقافة صهيونية أن يطبق في العراق أو في أي مكان آخر من العالم الإسلامي، مع كل ما يتضمنه من تناقض فكري وحضاري وسياسي وثقافي وعقائدي... إلخ بين الشعبين الأميركي والعراقي أوالاسلامي.

أو ليس فرض هذا النوع من القوانين بالقوة العسكرية على الأمة الإسلامية إرهابا؟

وكيف تصح تسمية المجاهدين في سبيل الله الذين يدافعون عن دينهم

وأوطانهم بالإرهابيين، في حين يسمى المدافعون عن القوانين الوضعية الصادرة عن القوى الاستعمارية بالعالم الحر أو بالديموقراطيين؟

فالله ﷻ الذي فرض إلزامية اتباع الدين كقانون إلهي وكلف المؤمنين بالقتال في سبيل تطبيقه، بدأ مما جاء في التوراة وصولاً إلى ما جاء في القرآن الكريم، لم يفرضه كوسيلة للصراع بين الناس، بل من أجل تقويم الملحدين ولو بالقوة حتى لا يصبحوا مصدر خطر على البشرية؛ لأن الملحد الكافر الذي لا يخاف يوم الحساب تنتفي عنده المفاهيم الأخلاقية التي تنادي بها وتبلورها الأديان السماوية فيصبح الوازع الداخلي عنده معدوماً، فتسيطر عليه ميوله الغرائزية التي يقتضي إشباعها التعدي على حقوق الغير ومكتسباته، فكيف يكون الحال إذا كان هذا الملحد يرأس أو يدير إحدى الدول الاستعمارية القوية التي لا تحترم القوانين الأخلاقية أو الأنظمة العالمية.

وهذا النوع من القتال الذي ينفذه المؤمنون لم يكن في يوم من الأيام إرهاباً أو تمثيلاً بالعباد أو استعماراً لدوافع مادية، إنما كان هدفه نشر الرسالات السماوية وتعميمها على عباد الله في سبيل مصلحتهم ومصلحة مجتمعاتهم الدينية والدنيوية.

فلو لم ينعم الله ﷻ علينا برسالاته لما استقامت الحياة على وجه الأرض، ولما ظهرت الحضارات الإنسانية، ولكانت الدنيا لا تزال تتخبط في بحر مظلم من الجهل والظلم والطغيان.

وكي يستمر العمل بهذه الرسالات يجب أن تحصن ضد عبث العابثين من المحرفين لكتبها، والمخالفين لمبادئها، أو الساعين لطمسها أكانوا مشركين أو كتابيين، فالقتال من أجلها حق من الحقوق البديهية المفروضة على المؤمن والجهاد في سبيلها واجب مقدس يضمن انتشارها ويحافظ على سلامة تطبيقها.

فالله ﷻ خالق السماوات والأرض وواضع القانون الإلهي الأعظم وكتبه المنزلة دساتير المؤمنين الثابتة الأبدية، وطاعتها تكليف إلهي الزامي، والقتال في سبيلها يحتل أعلى مراتب القدسية، فكيف نخالفها من أجل الديمقراطية

المزيفة التي ينادي بها المستعمرون مع أن ديمقراطيتهم لا تطبق ولا تزدهر إلا بمخالفة شرع الله إرضاء لأهوائهم ومصالحهم المخالفة لأبسط مفاهيم العدالة الإلهية؟

فهل من الجائز أن جورج بوش رئيس الولايات المتحدة الأميركية يستطيع أن يسن قانوناً وضعياً لمصلحة شخصية ويفرضه على العالم بشكل إلزامي، وفي حال رفضه أو عدم طاعته يجهز من الجيوش ما يجهز مستعملاً جميع وسائل الدمار ضد الشعوب الآمنة في سبيل تحقيق غاياته الشخصية؟

فأي دين يطبق، وأية شريعة يتبع حتى يحل له محاربة المسلمين واغتصاب بلدانهم طمعاً بما فيها من الخيرات والمقدرات الاقتصادية؟

وهل أصبح لقرارات جورج بوش وغيره من صانعي القرارات والقوانين الدولية إلزامية التطبيق أكثر من القوانين الإلهية المتمثلة بالأديان السماوية حتى نتخلى عن أدياننا ومعتقداتنا إرضاء له ولأمثاله؟

وهل يحق لهم أن يدمروا أوطاننا، ويستبيحوا حرماتنا، وينهبوا ثرواتنا، ويقتلوا أبناءنا، في سبيل تطبيق قوانينهم، ولا يحق لنا حتى الدفاع عن القانون الإلهي الذي ارتضيناه لأنفسنا طاعة لرب العالمين؟.

إن هذه هي أهم نقاط الخلاف بيننا وبينهم، فنحن نريد الالتزام بما أنزل الله ﷻ حفاظاً على ديننا ودنيانا، وهم يريدون منا الالتزام بما يسنون وما يريدون من القوانين حفاظاً على عنصريتهم ومكاسبهم، ولو أدى بنا ذلك إلى مخالفة أمر الله، وخير دليل على ذلك هو محاولاتهم لتحوير القرآن الكريم كونه لا يتلاءم مع قوانينهم الوضعية وتطلعاتهم الغرائزية بدل أن يلتزموا بكامل تعاليمه الإلهية المفروضة عليهم أصلاً في التوراة والإنجيل.

نعم إنهم يريدون تحوير القرآن الكريم، ويعملون على ذلك بكل حقد ووقاحة، يساعدهم في سعيهم هذا ضعف الأمة الإسلامية واستهتار قادتها.

كنت أتابع القمة العربية التي انعقدت في الجزائر العام ٢٠٠٥ على التلفاز، فتطرق أحد القادة العرب إلى موضوع تحوير القرآن الكريم تلميحاً

وكأنه موضوع ثانوي دون أن يخوض المؤتمرون في تفاصيله وتداعياته على جوهر الإسلام أو قدسية القرآن،ففانتابني شعور بالإحباط لما يجري حولي في عالمنا الإسلامي، وتزاحمت التساؤلات في رأسي حول مصير المسلمين، وما آلت إليه أحوالهم في ظل الهيمنة الإسرائيلية الأميركية على قرارهم السياسي.

ولكن الشيء الوحيد الذي لم أفهمه حتى اليوم هو:

كيف يمكن لقائد مسلم أن يتقبل طرحاً يقضي بحذف آيات من القرآن الكريم؟

فالله ﷻ يقول في سورة الحجر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾.

وجورج بوش وشارون ومن قبلهما مناحيم بيغن يقولون:

يجب حذف آيات الجهاد والآيات التي تبين عداء اليهود للمؤمنين، من القرآن الكريم.

فمن تتبعون ومن تطيعون؟

وهل تسعون لمرضاة الله؟

أم لتكسبوا رضى بوش وشارون؟

أم غاب عن بال البعض أن محمداً كان خاتم الأنبياء، فاعتقدوا أن بوش وشارون أصبحا من الرسل؟

معاذ الله أن أتهم جميع المسلمين بتقبل مثل هذه الطروحات المشبوهة لأنني على يقين من أن الأكثرية الساحقة من الأمة لا تزال على إيمانها، فدماء الشهداء لا تزال تسطر ملاحم الإيمان والبطولة في كل الأقطار الإسلامية، وإيمان بعض القادة بعدالة رسالتهم يحفز فينا روح الأمل بغد قريب، ينتصر فيه الإيمان على الكفر والإلحاد، فما علينا سوى الاعتصام بحبل الله، والصبر على البلاء، وتشديد العزم على مجاهدة الأعداء.

في النهاية لم يكتف المضللون بتحوير الكتب السماوية بل أوجدوا معها تعاليم رديفة صاغتها أذهانهم ونسبوا بعضها إلى الله ﷻ والبعض الآخر إلى

الأنبياء والرسل ليشرّعوا تطبيق أهوائهم وليقنعوا العالم بصوابية تصرفاتهم الإجرامية.

وكوني على يقين من خلو الكتب المنزلة على الأنبياء ـ وليس المحرفة ـ من جميع ما يسيء إلى البشر أو يؤذيهم أكان بالقتل أم الإرهاب أم الاضطهاد؛ لأن العلة لا تكمن في تطبيق التكليف الإلهي الذي يساوى بين جميع الأمم والشعوب المؤمنة، ولكنها تكمن في مخالفة هذا التكليف أو في تستر المفسرين والمحرفين خلفه ليستطيعوا تنفيذ عقائدهم المستمدة من زينة الدنيا، فأسسوا لذلك النظريات وأصدروا الفتاوى التي تؤهلهم الاعتداء على غيرهم من البشر باسم الله وأنبيائه الصالحين.

فما هو منشأ هذا الخلاف؟

ومن أين بدأت جذوره؟

وهل يوجد فعلاً من خلاف بين أصول التوراة والإنجيل وبين القرآن الكريم؟

وما هي نقاط الالتقاء والاختلاف؟

للإجابة على هذه التساؤلات سنستعين بآيات تضمنتها نفس هذه الكتب، بغية تحديد العلاقة فيما بينها، لذلك سنفصل بالتتابع ما جاء في كل منها مبينين مدى التوافق والتناقض، وكيفية نشوئه، مبتدئين بنقاط التوافق الجامعة حول رسالات الأنبياء والرسل.





موافقات الأديان

تتفق جميع الأديان في الدعوة إلى عبادة الله الواحد والإيمان بما أنزل منه على جميع الرسل والأنبياء، ولكن التطبيق العملي لهذا التكليف يختلف بين معتنقي الأديان السماوية، حيث نرى تفاوتاً في الالتزام به بين اليهود والمسيحيين والمسلمين، وهذا التفاوت يعود إلى عدم اتباع معظم الكتابيين لجميع ما أنزل الله ﷻ على جميع الأنبياء والرسل.

وبما أن عدم الالتزام لا يعني خلو الكتب السماوية من الموافقات الجامعة بين الرسالات المدونة فيها، لذلك سنعمل على تبيان بعض هذه الموافقات الموجودة في كل من التوراة والإنجيل والقرآن، حتى نتمكن فيما بعد من تحديد المسؤوليات الناجمة عن عدم الالتزام بروح العقائد المستندة إلى ما جاء في الكتب السماوية.

○○○○○



ماذا في التوراة

قبل الاستناد إلى ما جاء في التوراة أود أن ألفت نظر القارئ إلى أنه من الناحية النظرية يمكنه إدانتي لاستنادي إلى النصوص التوراتية في سياق البحث، مع علمي بتحريف التوراة، وبما أن هذه النصوص موجودة ومدونة شئنا أم أبينا، لذلك نستطيع التعامل معها بحذر شديد، كما يمكننا تداولها حيث تدعو الحاجة في فقرات البحث دون الإيمان بكل ما دُوّن فيها.

وهناك نقطة أخرى هامة يجب أخذها بالحسبان، تتلخص باعترافنا بتحوير التوراة، حسب معتقدنا الديني وليس إلغاء التوراة بكليتها.

ومن يتعمق بمقارنة الكتب السماوية مع القرآن الكريم يستطيع أن يفرق بين الصحيح والمحرف، وبالتالي يسهل عليه التعامل مع التناقضات المضافة إليها.

وبالعودة إلى موضوع التوراة نذكر أن موسى بعث قبل عيسى ومحمد ﷺ وأنزل عليه التوراة من ربه الذي أنزل الإنجيل على عيسى ﷺ والقرآن على محمد ﷺ، وبما أن المنزل واحد ومشيئته واحدة ينبغي التسليم بوحدانية ما أنزل منه في كتبه السماوية من حيث جوهر التكليف وطريقة العبادة.

ففي أكثر من موضع نجد في التوراة ذكراً لجميع الأنبياء ﷺ ومن بينهم عيسى ومحمد ﷺ اللذان مر ذكرهما في مواضع عديدة لحض اليهود على اتباعهما عندما يرسلهما الله ﷻ.

فكيف ورد ذلك وأين؟

ففي عيسى ﷺ تقول نبوءة زكريا في الإصحاح السادس:

١٢ ـ وكلمه قائلاً، هكذا تكلم رب الجنود قائلاً، هو ذا الرجل الذي اسمه النبت إنه ينبت من ذاته ويبني هيكل الرب.

فماذا تعني برأيكم عبارة إنه ينبت من ذاته غير طبيعة ولادة سيدنا المسيح الذي لم يولد من زواج كامل بين رجل وامرأة، بل ولد من روح الله ﷻ، ولذلك قيل إنه ينبت من ذاته.

ويقول هوشع في نبوءته في الإصحاح الثالث:

٤ ـ لأن بني إسرائيل سيقعدون أياما كثيرة لا ملك لهم ولا رئيس وبلا ذبيحة وبلا تمثال وبلا أفود وترانيم. ٥ ـ وبعد ذلك يعود إسرائيل ويطلبون الرب إلههم وداود ملكهم ويفزعون إلى الرب وإلى جوده في آخر الأيام.

ثم نقرأ في سفر أشعيا: الإصحاح السابع:

١٤ ـ ولكن يعطيكم السيد نفسه آية. ها العذراء تحبل وتلد ابنا..... إلخ.

الإصحاح الثاني والأربعون:

١ ـ هوذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرت به نفسي. وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم. ٢ ـ لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته. ٣ ـ قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ...... ٧ ـ لتفتح عيون العمي لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة.

فالتوراة هي القائلة ها العذراء تحبل وتلد ابنا... وكلنا يعلم من هي مريم العذراء ومن هو ابنها المسيح عليه السلام، فلماذا أنزلت هذه الآية في التوراة إذا كان الله ﷻ لم يشأ منها حكمة تؤدي إلى اتباع هذا النبي من قِبَل من أنزلت عليهم التوراة؟.

وهل جاء نبي على اليهود غير السيد المسيح عليه السلام تنطبق عليه مثل هذه الصفات السمحة المتصفة بالليونة في نشر تعاليمه؟

وهل غاب عن بال اليهود ما صنعه المسيح ﷺ من المعجزات التي ذكرها سفر أشعيا؟

وهل يجب التغاضي عنها إذا كان المؤمنون بالتوراة يطبقون ما أنزل فيها طاعة خالصة لله ﷻ دون تعصب أو استكبار؟

لست أدري لماذا لم يتبع اليهود المسيح ﷺ تنفيذاً لما ورد عندهم في التوراة بشأن نبوته وأوصافه ورسالته.

وفي محمد ﷺ يطول الذكر أكثر وتشتمله عدة أسفار من التوراة، نستهلها بما جاء في سفر التثنية وتحديداً في الإصحاح الثامن عشر:

- يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون..... ١٧ - قال لي الرب قد أحسنوا في ما تكلموا. ١٨ - أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ١٩ - ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه. ٢٠ - وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي. ٢١ - وإن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب. ٢٢ - فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه.

فأي نبي تقصد التوراة في هذا الإصحاح؟

وعلى من تنطبق جميع هذه الأوصاف؟

فالتوراة حددت هذا النبي على أنه من إخوة اليهود وليس منهم، لذلك يجب العودة إلى الجد الذي تنتسب إليه أمة اليهود مع أمة أخرى فنصل إلى إبراهيم ﷺ الذي تفرع منه اليهود والمسلمون.

وبما أن اليهود ينتسبون إلى إسحق بن إبرهيم ﷺ.

وإسماعيل أخ لإسحاق بن إبراهيم ﷺ.

ومحمد ﷺ هو النبي الوحيد من نسل إسماعيل بن إبرهيم ﷺ.

فأصبح محمد ﷺ هو المقصود بالنبي الذي يخرج من بين إخوة اليهود.

وهذا النبي مثل سيدنا موسى عليه السلام حسب التوراة فما هي أوجه التشابه بين سيدنا موسى وسيدنا محمد عليهما السلام؟

فسيدنا موسى عليه السلام نبي، وقد أنزل عليه كتاب، وهو صاحب شريعة، وقد حارب في سبيل الله.

وسيدنا محمد ﷺ نبي، وأنزل عليه كتاب، وهو أيضاً صاحب شريعة، وقد حارب أيضاً في سبيل الله.

توعدت التوراة هذا النبي بالقتل إذا تكلم بغير أمر الله.

وهذا ما انطبق على سيدنا محمد ﷺ لانه لم ينطق عن هوى بل التزم بوحي الله عز وجل، فعصمه سبحانه وتعالى من الناس في عدة مناسبات لصدق نبوته كما أمر الله رب العالمين، ونجد ما يؤيد هذا التوعد في القرآن الكريم حيث يقول تبارك وتعالى في سورة الحاقة: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

ثم إن الله عز وجل قال: وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ولم يقل عز وجل أنه سيعطيه الشريعة على ألواح ليقرأها مثل موسى عليه السلام، وإنما قصد وضع كلامه في فمه لأنه موضع المشافهة على عكس العين التي هي وسيلة القراءة، ولكون النبي المقصود هو نبي أمي لا يجيد القراءة بالعين وإنما المشافهة بالفم واللسان.

فمن غير محمد بن عبد الله ﷺ من الأنبياء تنطبق عليه هذه الحالة الدقيقة الوصف المقدر من العزة الإلهية؟

وفي الإصحاح الثاني والأربعين من سفر إشعيا نقرأ:

٨ ـ أنا الرب هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر ولا تسبيحي للمخلوقات. ٩ ـ هوذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها. قبل أن تنبت أعلمكم. ١٠ ـ غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحة من أقصى الأرض. أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها. ١١ ـ لترفع البرية ومدنها

صوتها الديار التي سكنها قيدار. لتترنم سكان سالع..... إلخ.

بالعودة إلى سفر التكوين الإصحاح الخامس والعشرين نقرأ التالي: (وهذه مواليد إسماعيل بن إبراهيم الذي ولدته هاجر المصرية جارية سارة لإبراهيم وهذه أسماء بني اسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم. نبايوت بكر إسماعيل وقيدار...) إلخ.

فالأوليات أتت والحديثات أخبرهم بها قبل أن تنبت أي قبل أن تأتي داعيا إياهم للتسبيح بصوت عال لما هو آت من أقصى الأرض التي سكنها قيدار ثاني أبناء إسماعيل عليه السلام.

أو ليست أرض قيدار هي نفس الأرض التي أنجبت سيدنا محمد واحتضنته حتى نزول الوحي الإلهي عليه، وشهدت ربوعها دعوته وأخيراً احتضنت جسده الطاهر.

كما نجد في الإصحاح الثالث من سفر حبقوق. ٣ ـ (الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران).

فما هو المقصود بالقدوس؟

وأين يوجد جبل فاران؟

أو ليس مفترضاً أن يكون جبل فاران في برية فاران التي تضم مكة المكرمة، وبالتالي يكون القدوس متعلقاً بالنبي الذي سيظهر فيها؟

إذاً فعبارة والقدوس من جبل فاران دليل آخر على مكان إقامة هذا النبي الموعود الذي أراده الرب تبارك وتعالى مثل نبيه موسى عليه السلام وألزم اليهود باتباعه عند ظهوره، تطبيقاً لما جاء في الإصحاح الثامن عشر من سفر التثنية حين يقول:

ـ يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون.

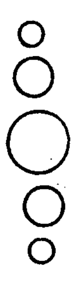
فعبارة مثلي له تسمعون تحمل أسمى آيات الطاعة والولاء لرسالة النبي الآتي إذا كان المخاطَبون يلتزمون بشرع الله ويتبعون أنبياءه المرسلين.

ولكن ومع الأسف سيتبين لنا كلما تقدمنا بالبحث مدى التناقض الذي نشأ عن عدم الالتزام بالأديان السماوية، والذي أدى إلى ولادة الكثير من

الحركات العنصرية والدينية المتطرفة عند اليهود، والتي جوبهت بحركات مضادة من بعض الشعوب والفرق الدينية، فأنتجت عدة حروب ومآس طالت الكثيرين في العالم ولم تنته مفاعيلها حتى اليوم.

وفي نهاية هذه الفقرة أود أن الفت الانتباه إلى أنه يوجد العديد من المبشرات والموافقات في التوراة تدعو إلى اتباع جميع الأنبياء والمرسلين، ولكنها أقل وضوحاً من التي ذكرتها آنفا لذلك استغنيت عن ذكرها كونها من اختصاص العلماء واللاهوتيين المتعمقين بالتفسير والتأويل، لذلك اكتفيت بذكر ما هو جلي منها للعامة نظراً لوضوحها وإمكانية استيعابها من الجميع بطريقة واضحة لا لبس فيها.





ماذا في الإنجيل

يتميز الإنجيل عن غيره من الكتب السماوية بوجوده في التداول بأكثر من نسخة دونت جميعها بعد المسيح ﷺ، وبعد قراءتي المتأنية لجميع هذه النسخ وجدت فيها ما يفيد البحث الذي بين أيدينا في مواضع عديدة، وبالرغم من أن بعض المقاطع من إنجيل برنابا قد استرعت اهتمامي، إلا أنني فضلت عدم الاستناد إلى ما جاء فيه لأني لم أجده متداولاً عند إخواننا المسيحيين، واكتفيت بما وجدته في الأناجيل الأربعة المتداولة في مجتمعي.

فمن حيث توافق السيد المسيح مع من سبقه من الأنبياء نقرأ في الإصحاح الخامس من إنجيل متى:

١٧ ـ لاتظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل. ١٨ ـ فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل.

فالمسيح ﷺ يقر بأنه لم يأت لينقض الناموس والأنبياء ولو بحرف واحد أو نقطة واحدة، بل أتى ليكمل ما جاؤا به من قَبْلِه.

وهذا لا يدع مجالاً للشك بإيمانه بأنبياء اليهود وبرسالة التوراة، وفي نفس الوقت هو يعترف بأنها زمن مجيئه لم تعد تشمل كل ما يلبي حاجات عصرها، أو بالأحرى أنها لم تعد تنفذ كما أراد لها الله ﷻ فأرسله لتأكيد وتوسيع ما أنزل على من قبله من جهة، وتصحيح ما اعترى التطبيق الفعلي للمفاهيم الدينية اليهودية من جهة أخرى، فجاء ليعيد الخراف الضالة إلى طريق الهداية والإيمان بقوله في الإصحاح الخامس عشر من إنجيل متى:

٢٤ ـ .. لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة.

وهنا تبرز نقطة هامة يقتضي على المؤمن التوقف عندها ألا وهي:

لماذا أرسل الله ﷻ ما أرسل من الأنبياء على بني إسرائيل ما دامت مشيئته واحدة لاتتبدل ويمكن لنبي واحد أن يبشر بها؟

ولماذا تعدد الأنبياء في شعب واحد ومن بينهم موسى عليه السلام كليم الله وعيسى كلمة الله ونفخة من روحه؟

إن العلة بنظري تكمن في جوهر الإيمان عند بني إسرائيل، وعدم دخوله إلى قلوبهم، مما استلزم تذكيرهم بشكل دائم بهدي الله ﷻ، فكان هذا العدد الكبير من الأنبياء الذين لم يستطيعوا أن يثبتوا إيمانهم، وهذا ما ستؤكده دراستنا عند بحث مسؤولية التناقض التي أدت إلى التباعد بين الأديان، وسببت بعض الحروب ونشرت الفتن والبغضاء فأصبحت فيما بعد الأرض الخصبة للتعصب والإرهاب.

وبالعودة إلى التزام المسيحية بما جاء في العهد القديم نرى أن هذا الالتزام قد رتب بعض المسؤوليات اللاهوتية في زمننا الحاضر فرضها ضم التوراة بأسفارها الموسوية والتاريخية إلى الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل في كتاب واحد أصبح اسمه الكتاب المقدس، وكون التزام السيد المسيح بالناموس لا يقبل الجدل، فقد أدى هذا الجمع إلى ضرورة إيمان المسيحيين بحرفية ما جاء في العهد القديم بكل ما تضمنه من التدوينات اليهودية.

فهل التوراة المدرجة في الكتاب المقدس والمعروفة بالعهد القديم هي نفسها التوراة المنزلة على موسى عليه السلام؟

أم أنها خضعت للتبديل والتعديل بعده؟

وكيف سنتعامل معها؟

وما هي الدلائل التي تؤكد أنها تعرضت لكثير من التغييرات والإضافات؟
جميع هذه التساؤلات سنجد لها الأجوبة المناسبة عند معالجة موضوع اليهود وتحريف التوراة.

أما وقد بينا قول السيد المسيح فيمن سبقه من الأنبياء والرسالات حسب الإنجيل فما هو قوله في النبي الآتي بعده؟

يقول يوحنا في الإصحاح الخامس عشر من إنجيله:

٢٦ ـ ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي. وفي ترجمة أخرى يقول: الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم.

يقول المسيح عليه السلام أن الآب سيرسل الروح القدس لتعليم الناس من بعده.

وبالضرورة أن يأتي الروح القدس إلى نبي مرسل من الله عز وجل لأن الروح القدس لا يتكلم مباشرة مع الناس بل بواسطة أنبياء الله عليهم السلام، فكيف يمكن له تعليمهم إذا لم يؤمنوا به ويتبعوا التعاليم التي يأتيهم بها تنفيذاً لقول المسيح عليه السلام، خصوصاً وأن هذا التعليم لايختص بناحية واحدة أو عدة نواح بل يشمل كل شيء كما يقول، وكل شيء هذه تعني العبادة والنظام والتشريع وكل ما يتعلق بأمور الدين وقوانين الحياة. ثم يتابع السيد المسيح قائلاً.

«ويذكركم بكل ما قلته لكم»: أي بضرورة التعلم منه والإيمان برسالته كما قلت لكم من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذا النبي مؤمن برسالتي التي أنزلت إلي من ربي لأنه سيتبناها ويذكر بها، وهذا فعلاً ما نجده في القرآن الكريم وتحديداً في الآية ١٣٦ من سورة البقرة حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾.

إذا فالقرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم يدعو إلى الإيمان بما أنزل إلى جميع الأنبياء من ربهم وبذلك يلتقي مع قول المسيح عليه السلام ويذكركم بكل ما قلته لكم.

ثم ننتقل إلى ما جاء في الإصحاح السادس عشر من نفس الإنجيل فنجد:

١٢ ـ إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. ١٣ ـ وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية..

ففي المقطع الأول يقول السيد المسيح بأنه لم يتكلم بكل الأمور لأن الناس لا يستطيعون أن يحتملوا كل التشريع والتكليف والقوانين دفعة واحدة وخاصة في نفس الزمان الذي كلمهم فيه لعلمه بأنها ستصلهم فيما بعد عندما يصبحون أكثر استعداداً لتقبلها.

وفي المقطع الثاني يدلهم على روح الحق الآتي بكل الحق واصفاً طريقة أداء رسالته أيضاً بالمشافهة، فهو يسمع ثم يتكلم بما يسمع لأنه طبعاً لايجيد القراءة والكتابة.

إذا هو ذلك النبي الأمي الذي ورد ذكره سابقاً معنا في التوراة والذي هو سيدنا محمد ﷺ.

والثابت في النص أيضاً أن الرسالة الآتية أشمل مما أتى به المسيح عليه السلام، كونها حسب قوله تحتوي على جميع الحق الذي سكت هو نفسه عن بعضه لعدم استطاعة شعبه تحمله، وكذلك فإن رسالة سيدنا محمد ينطبق عليها مفهوم الأمور الآتية لأنها كانت آخر الرسالات السماوية. ونرى فيها شمولية لا نجدها في غير القرآن من الكتب السماوية بحيث تبدأ قَصَصُه من الأزل حين خلق الله تبارك وتعالى السماوات والأرض ولا تنتهي إلا بعدما يرث الله الأرض ومن عليها، على عكس التوراة التي لم تتطرق إلا لماماً إلى الغيبيات ويوم الحساب.

○○○○○

ماذا في القرآن

بعدما بينا ما أنزل على موسى في التوراة بشأن عيسى ومحمد عليهما السلام، وبعدما رأينا ما أنزل على عيسى في الإنجيل بشأن موسى ومحمد عليهما السلام، سنستنير ببعض ما أنزل في القرآن الكريم على محمد بشأن موسى وعيسى عليهما السلام.

يقول تبارك وتعالى في الآية ٨٤ من سورة آل عمران: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

ثم يقول تعالى في الآية ١٣٦ من سورة البقرة: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾.

ففي الآية الأولى أوحى الله عز وجل إلى نبيه تخصيصاً أن يؤمن بما أنزل على جميع الأنبياء من ربهم من رسالات سماوية بعدما أخذ الله ميثاق النبيين بأن ينصروا نبيه فأقروا وشهدوا وكان تعالى معهم من الشاهدين.

وفي الآية الثانية ينتقل تعالى إلى صيغة التعميم حتى يعلم جميع المسلمين أن أمر هذا التكليف الإيماني يعنيهم جميعاً، فليس الرسول وحده معني بهذا الإيمان بل كل عباد الله، لذلك قال تعالى في مطلع الآية الثانية ـ قولوا آمنا.

فحكمة الله عز وجل في تأكيد التعميم الإيماني بما أنزل على جميع أنبيائه ورسله تتجلى في تكرير إنزال هاتين الآيتين بمضمون واحد ولا تختلفان إلا في تحديد التكليف ففي الأولى نقرأ قل ـ وفي الثانية قولوا، بالإضافة لما فيهما من التأكيد الملزم للتكليف الشامل.

مع أن القرآن الكريم يحتوي الكثيرمن الآيات الداعية إلى الإيمان بجميع

ما أوتي الأنبياء من ربهم وخاصة في التوراة والإنجيل، ولكننا اكتفينا بذكر هاتين الآيتين الكريمتين لما فيهما من الوضوح بحيث أن من يقرأ إحداهما يستطيع أن يتبين الالتزام الإسلامي بكتب الله ﷻ ونهج رسله عليهم السلام.

فالقرآن الكريم ذكر معظم الأنبياء ودعا إلى الإيمان بكل ما أنزل عليهم دون تفرقة بينهم،كما ذكر التوراة والإنجيل وغيرهما داعياً أيضاً إلى الإيمان بما أنزل فيها لأنها جميعها من وحي الله ﷻ، فمع أحادية المصدر لا يختلف التنزيل لو بقيت كل الكتب السماوية المنزلة كما أنزلها الله ﷻ، ولو لم تمتد إليها أيدي المحرفين لما اختلف الناس في دينهم بعدما جاءهم الهدى.

بعد الاطلاع على ما جاء في التوراة والإنجيل والقرآن من التوافق حول مصدرها الإلهي من جهة وحول مضامينها المنزلة من الله ﷻ من جهة أخرى، وبعد ما نشهده اليوم في هذا العالم من التباعد العقائدي والفكري وحتى الإيماني، وجب التفتيش عن السبب الذي أوصلنا إلى ما نحن عليه من الفرقة والانقسامات التي أدت وتؤدي إلى الحروب الدينية والعقائدية التي أنتجت واقعاً مريراً رغم محاولات التمويه واختلاق الأعذار والمبررات.

فهل الالتزام بالأديان السماوية هو السبب أم عدم تطبيقها كما أنزلت يؤدي إلى هذا التعصب المنتج للظلم والويلات؟

وهل الأصولية عيب يؤدي إلى الإرهاب كما يدعون أم أنها نهج يخفف من التفرقة الدينية لارتباط الأصوليين بحرفية روح الدين الذي يحترم حقوق جميع المؤمنين، أم أنها تحَارَب باعتبارها حجر عثرة أمام الوجوديين والحداثيين وغيرهم من مؤيدي اتّباع القوانين الوضعية الذين أصبحوا يرفضون التقيد بمنهج الدين في صيغ حياتهم السياسية والاجتماعية؟

وهل يصح اعتبار الدين كمصدر للتفرقة والانقسام بعدما أراده الله ﷻ عاملاً أساسياً للتوحيد في سبيل خلاص النفس البشرية وهدايتها؟

فلما نحن متفرقون إذا كنا نتبع ما أمرنا به الله ﷻ من الالتزام بدينه الواحد الذي لايدعو إلا إلى خير النفس وخير البشرية؟

وأخيراً من هو المسؤول عن هذا التناقض، أهو مطبق الدين أم الكافر والملحد والمكابر؟

لذا سنعود إلى القرآن الكريم لنستنير ببعض الآيات المنظمة للعلاقات الإنسانية على أسس إيمانية.

يقول الله العزيز الحكيم في الآية ١٣ من سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾.

لو تدبرنا هذه الآية الكريمة لوجدنا أن الإسلام هو أول الداعين إلى التقاء الحضارات وتضامن الأجناس البشرية على مبدأ المساواة بين البشر فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، والتقوى بمفهوم الإسلام هي المقياس الأوحد الذي يحدد الأفضلية بين البشر وليس اللون أو الجنس أو الدين، وهذه هي قمة العدالة الاجتماعية التي يفتقدها العالم بأسره في أيامنا هذه باستثناء المؤمنين الملتزمين بما شرع الله ﷻ.

فإذا كان الإسلام كذلك وقد تعرض إلى عدة حروب دينية وعنصرية وعقائدية شُنت ضد معتنقيه.

فكيف نفسر أسبابها؟

وما هي خلفياتها؟

وهل يحق لمن نفذها محاربة الإسلام والمسلمين؟

فمسؤولية هذه الحروب بنظري لا تحمل مفهوماً دينياً إذا ما أردنا توصيف دوافعها، بل نستطيع أن نقول أنها ناتجة عن عدم التقيد بالدين واتباع طرق التعصب البغيض عن طريق العنصرية أو الأنانية في تحقيق المصالح الاقتصادية الخاصة على حساب المستضعفين من البشرية.

فلو التزم الناس جميعاً بهدي أديناهم لما رأينا هذه الانقسامات والتناقضات التي غالباً ما تكون السبب الرئيسي للحروب العقائدية والدينية، لذلك سنعود مرة ثانية إلى الكتب السماوية لنسلط الضوء على ما فيها من تعاليم

الأمر والنهي المتعلقة بهذه الحروب، وبالتالي تحديد المسؤولية على ضوء ما تحتويه الأديان من التعاليم التي تبيح القتال أو تنهى عنه.

وفي هذا السياق يجب أن نعالج أمرين رئيسيين يتعلقان بتحريف التوراة وأحقية اليهود الحصرية بما يسمى بأرض الميعاد، وذلك قبل الدخول في تفصيل دعوات العنف والقتال التي تحتويها الكتب السماوية.





اليهود وتحريف التوراة

تستند بعض الأمم في عقيدتها القتالية إلى الكتب السماوية، وما أكثر الحروب التي نفذت تمشيا مع هذه العقائد، خاصة عند اليهود والمسلمين، وبما أن اليهود لا يستندون في بلورة عقيدتهم القتالية إلى التوراة فحسب بل يستندون إلى التلمود والأسرار الماسونية وبروتوكولات حكماء صهيون، لذلك تختلط عندهم المفاهيم السياسية بالمفاهيم الدينية وفقاً للمصالح والأهداف المرجوة.

ولكن قبل أن نبدأ تبيان ما في هذه الكتب من الدوافع والمبررات يجب أن نتأكد من نقطة ضرورية لصحة البحث تتعلق بمدى انطباق التوراة التي بين أيدينا على التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام.

يؤكد القرآن الكريم تحريف التوراة من قبل اليهود، ولكنني لن أتناول هذه المسألة بمفهوم قرآني، بل سأعمل على إثبات ذلك من نفس التوراة لأنني على يقين من رفض اليهود لأي تأكيد أو تفسير غير يهودي المصدر.

تقول التوراة في الإصحاح الثامن من سفر إرميا:

٧ ـ .... أما شعبي فلم يعرف قضاء الرب. ٨ ـ كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا. حقاً إنه إلى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب.
٩ ـ خزي الحكماء ارتاعوا وأخذوا. ها قد رفضوا كلمة الرب فأية حكمة لهم.

ويضيف في الإصحاح التاسع والعشرين من نفس السفر:

٨ ـ لأنه هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل. لا تغشكم أنبياؤكم الذين في وسطكم وعرافوكم ولا تسمعوا لأحلامكم التي تتحلمونها. ٩ ـ لأنهم إنما يتنبأون لكم باسمي بالكذب. أنا لم أرسلهم يقول الرب.

إثبات يغني عن كل الاثباتات يستند إلى نصوص صريحة من ذات التوراة حول تحويرها بأقلام الحكماء ومدعي النبوة، فما هو سبب هذا التحوير؟

وهل تستدعي العبادة الصادقة التحوير والتزوير في كتب الله؟

أم أن هذا التحوير نفذ لمآرب أخرى لا تتفق مع شرع الله ﷻ؟

ومع أن ما نقلناه يعتبر كافياً من الناحية المبدئية لإثبات التحوير في التوراة إلا أنني سأستند أيضاً إلى المنطق العلمي المستمد من ذات التوراة والذي يثبت بدوره حصول التحريف.

ففي سفر الخروج وتحديداً في الإصحاح الرابع والعشرين نقرأ:

١٢ ـ قال الرب لموسى اصعد إلى الجبل وكن هناك. فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم.

وفي الإصحاح الحادي والثلاثين من نفس السفر:

١٨ ـ ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحي الشهادة لوحي حجر مكتوبين بإصبع الله.

إذا فالله ﷻ أعطى موسى ﵇ لوحي الشهادة المكتوبين على لوحي حجر فقط لا غير؛ لأنه لم يقل لوحي الشهادة ولوحي حجر، بل قال لوحي الشهادة لوحي حجر، مما يدل على أن الشهادة مكتوبة على هذين اللوحين الحجريين، ومن المؤكد أيضاً أنها تحوي جميع ما في الشهادة التي أعطاها الله لموسى.

كيف لا وفي الإصحاح الخامس والعشرين من نفس السفر نجد وصفاً دقيقاً لتابوت عهد الرب الذي ستوضع فيه الشهادة:

١٠ ـ فيصنعون تابوتاً من خشب السنط طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه ذراع ونصف. ١١ ـ وتغشيه بذهب نقي. من داخل ومن خارج تغطيه. وتصنع عليه إكليلاً من ذهب حواليه. ١٢ ـ وتسبك له أربع حلقات من ذهب وتجعلها على قوائمه الأربع. على جانبه الواحد حلقتان وعلى جانبه

الثاني حلقتان. ١٣ ـ وتصنع عصوين من خشب السنط وتغشيهما بذهب. ١٤ ـ وتدخل العصوين في الحلقات على جانبي التابوت ليحمل التابوت بهما. ١٥ ـ تبقى العصوان في حلقات التابوت. لا تنزعان منها. ١٦ ـ وتضع في التابوت الشهادة التي أعطيك.

وهذا تأكيد على أن التابوت أعد ليوضع فيه شيء واحد الذي هو الشهادة ولا شيء آخر معها.

فلوحا الشهادة إذاً هما لوحاً الحجر اللذان أعطاهما الله ﷻ لموسى ﵇، وبالطبع لا يقصد غيرهما لأنه لم يعطه سواهما، كما أنه مع هذا التفصيل الدقيق لصنعة التابوت ما كان الله ﷻ ليترك إبهاماً في وصف لوحي الشهادة لو كانا أكثر من ذلك.

فهل كان على لوحي الشهادة جميع ما في التوراة الموجودة بين أيدينا اليوم والبالغ عدد صفحاتها ١٣٥٨ صفحة؟

أم أن لوحي الشهادة حملا ما أنزل فعلاً على موسى ﵇ من الله ﷻ في جبل سيناء فقط؟

أرى أن من يمتلك جزءاً يسيراً من المنطق يقتنع بما جاء في الاحتمال الثاني، بعدما تبين له حجم التابوت وإمكانية حمله، فلا يعقل أن ننسخ ١٣٥٨ صفحة على لوحين من الحجر مهما دق صنعهما، ثم ندخلهما في تابوت من هذا الحجم لاستحالة سعة التابوت لهذا الكم من الحجر إذا كتبنا عليه ١٣٥٨ صفحة، إضافة إلى عدم إمكانية حمل أطنان من الحجارة في نفس التابوت الموصوف في التوراة.

بذلك نؤكد أن التوراة التي بين أيدينا ليست هي التوراة التي أنزلت على موسى ﵇، وبالتالي يتأكد لنا أن الحروب الغرائزية والعقائدية التي نفذت وتنفذ تطبيقاً لها تندرج تحت بنود الإضافات التى طرأت عليها بفعل اليهود أنفسهم وليست بأمر الله كما يدعون.

وهناك أيضاً عدة إثباتات في متن التوراة تؤكد أنها ليست التوراة المنزلة

على موسى، أهمها التناقض التاريخي المتعلق بذكر الآشوريين والكلدانيين والسبي وغير ذلك مما لا تسمح المناسبة بتفصيله.

لكننا سنذكر مثلاً آخر يؤكد كتابة التوراة أو بعضها على الأقل بعد موت موسى عليه السلام، حيث نجد في الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية الذي يعتبر من الأسفار الخمسة المعروفة بأسفار موسى.

٥ ـ فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب. ٦ ـ ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم...... ٨ ـ فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات موآب ثلاثين يوماً. فكملت أيام بكاء مناحة موسى.

من يدقق في هذه التفاصيل يجدها تتكلم عن وصف واقعي لموت موسى عليه السلام، والبكاء عليه، ودفنه، وما إلى هنالك من السرد التاريخي للواقعة التي تؤكد أن الذي كتبها عاين الحدث، أو شارك فيه، فكيف عاين موسى عليه السلام موته ودفنه ثم دوّنه وهو في القبر، ليتني أدري؟

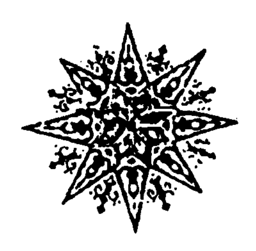
ثم إن التوراة لم تكتف بذكر موت موسى عليه السلام بل تعدت ذلك إلى السرد التاريخي المسهب عن حياة الأنبياء الذين أتوا بعده، مفندة أسماءهم وأفعالهم وحروبهم، وحتى قرابينهم من أولادهم، وكل تفاصيل حياتهم، كل ذلك قبل أن يولدوا، فإذا صح أن كل ما فيها أنزل على موسى عليه السلام، تصبح جميع أعمال الأنبياء والقضاة والملوك الذين حكموا إسرائيل ضمن دائرة التسيير الكلي لكل ما صدر عنهم، وبالتالي فإن الحروب بين مملكتي يهوذا وأورشليم هي مشيئة إلهية صرفة، والذين نفذوها مجرد أدوات مسلوبة الإرادة. وبالطبع فإن هذه النظرية خاطئة لأن الله عز وجل غضب على بني إسرائيل لاتباعهم الضلال في ممارساتهم وتصرفاتهم، فلو كانت جميع تصرفاتهم من ضمن مشيئته الإلهية لما غضب عليهم، بسبب عدم توفر النية والإرادة عندهم في تنفيذ ما قدر الله أن يكون.

بعد كل ما تقدم يمكنني القول بأن هذا النص التوراتي المتداول حالياً

ليس بكليته منزلاً من الله ﷻ، وبالتالي فقد أصبح لدينا ما يؤكد عدم إسناد معظم ما كتب في التوراة إلى الله ﷻ.

يبقى علينا أن نناقش موضوعاً آخر يتعلق بأحقية اليهود الحصرية بأرض الميعاد حسب مفاهيمهم التوراتية والتلمودية والماسونية والصهيونية، وهذه المرة سنتحدث عن مخالفتهم لتطبيق نصوص التوراة التي حرفوها لتتماشى مع أهوائهم، ثم عادوا لينقلبوا عليها في كل ما يتعارض مع مستجدات أطماعهم.

○ ○ ○ ○ ○



حق اليهود بأرض الميعاد

حدد الله ﷻ في التوراة الأرض التي سيعطيها لإبراهيم ونسله من بعده في سفر التكوين ـ الإصحاح الثاني عشر بقوله:

٧ ـ وظهر الرب لأبرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض.

وننتقل إلى الإصحاح الثالث عشر فنجد:

١٤ ـ . . . ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً. ١٥ ـ لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد. ١٦ ـ وأجعل نسلك كتراب الأرض. حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضاً يعد.

وهنا لا بد لي من التوقف عند العدد المذكور من نسل إبراهيم الذي يسهل عد تراب الأرض قبل عده، فهل يُقصد به بنو إسرائيل وحدهم كما يعتقد اليهود أم أنه يتخطاهم إلى غيرهم من الأمم المتحدرة من نسل إبراهيم عليه السلام، سيما وأن التوراة تعترف بأن اليهود هم الأقلية في عدة مواضع منها؟

فهذه العبارة لايمكن أن تكون محصورة بهم وحدهم لأنهم خلقوا قلة في العالم ولا يزالون، أما إذا اعترفوا بشموليتها لكل نسل إبراهيم عليه السلام عندها يمكن الأخذ بها وبالتالي تسقط نظرية الحق الحصري التي ينادون به بصدد أرض الميعاد لوجود شركاء لهم فيها.

وفي الإصحاح الخامس عشر نقرأ:

١٨ ـ في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً. لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات.

هذه هي بعض الأمثلة التي يستند عليها اليهود في نظرية إنشاء دولة

إسرائيل الممتدة من نهر مصر إلى نهر الفرات والمعروفة لديهم بأرض الميعاد.

فما هو حقهم فيها؟

وهل هي حق حصري لهم كما يدعون؟

بالطبع لن أستشهد أيضاً بالقرآن الكريم ولا بالإنجيل كالعادة بل فضلت العودة إلى التوراة نفسها لدحض نظرية الحصرية اليهودية على أرض الميعاد المزعومة.

في نفس سفر التكوين وتحديداً في الإصحاح السادس عشر منه نقرأ ما وجهه ملاك الرب لهاجر عندما هربت من وجه ساره ولقيها على عين الماء حيث أمرها بالعودة إلى مولاتها:

١٠ ـ وقال لها ملاك الرب تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة. ١١ ـ وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابنا. وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك. ١٢ ـ وإنه يكون إنسانا وحشياً. يده على كل واحد ويد كل واحد عليه. وأمام جميع إخوته يسكن.

في هذه المرة لا يتعلق النسل الكثير باليهود بل بأبناء هاجر والدة إسماعيل عليه السلام ببشارة من ملاك الرب، فهو الذي أكد لها الحبَل واختار لها اسم المولود آمراً إياها بتسميته إسماعيل ومحدداً لها طبيعته وأخيراً والأهم مكان سكنه.

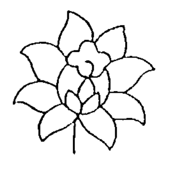
فعبارة (وأمام جميع إخوته يسكن) لها دلالات تفيد بأنه سيكون له أخوة لأبيه غيره، سيما وأن سارة لم تكن قد حبلت بعد، كما تقر بحقه الثابت بالعيش في كنف أبيه أمام جميع إخوته متمتعاً بنفس الحقوق التي سيتمتعون بها، وإلا لما كانت أنزلت في التوراة، فنزولها بهذا الشكل والوضوح يؤكد أحقية عيش إسماعيل ونسله في كل الأرض التي وعد الله عز وجل نبيه إبراهيم بها.

وللبيان لا يسعني أن أذكر جميع ما جاء في التوراة بالنسبة للأرض التي وعد الله نبيه إبراهيم ونسله بها نظراً لكثرة ما جاء بصددها، ولكنها جميعاً لا تستثني إسماعيل ونسله من أحقية العيش والسكن فيها بل تؤكده بشكل صريح

كما رأينا، فلو أراد الله ﷻ استثناء إسماعيل من هذا الميراث لوعد به إسحاق ونسله بدل أن يعد به إبراهيم ونسله وبذلك يقطع الجدلية من أساسها، ولكن مشيئته المطلقة حددت نسل إبراهيم بكليته، إلا أن اليهود بما تحمل قلوبهم ومزاياهم من الحقد والطمع حوروا التوراة وخالفوا أسسها، فقط للسيطرة على مكتسبات أبناء إسماعيل عليه السلام المبينة في ذات التوراة بهدف إنشاء دولتهم العنصرية القائمة على القتل والتدمير والانعزال.

وفي النهاية يجب على اليهود وحلفائهم أن يعلموا أن الأرض التي اغتصبوها ظلماً في فلسطين ليست أرضهم، فإن كان لهم الحق بالحياة عليها أسوة بباقي أبناء إبراهيم فليس معناه التفرد بها وطرد أصحاب الحقوق المشتركة فيها من ديارهم وبيوتهم بعد التنكيل بهم وتشريدهم في كافة أقطار الأرض، سيما وأن أبناء إسماعيل هم الأوفى لهذه الأرض التي لم يستكينوا في يوم من الأيام في سبيل الدفاع عنها وعن مقدساتها، فنسل إسماعيل لم يتنكروا يوماً لفلسطين ولم يتركوها لقدرها كما فعل اليهود طيلة قرون وقرون، ونسل إسماعيل لم يطردوا اليهود يوماً من فلسطين لأنهم ليسوا كما أضيفَ على الإصحاح الخامس عشر من سفر التكوين وحشيين، بل يخافون الله في التعامل مع البشر ويتقونه في رقاب المؤمنين من العباد.

O O O O O



ماهية الإرهاب

لا نجد حتى الآن في القاموس السياسي الدولي تعريفاً موحداً للإرهاب، سيما في الأمم المتحدة المفترض أنها المنظمة العالمية الوحيدة التي تملك الحق في إيجاد تعريف موحد للإرهاب تسري مفاعيله على جميع دول العالم وأممه؛ لأن جميع التحديدات المتداولة في عالمنا اليوم تفتقر إلى الواقعية والشمولية، وتتداخل مفاهيمها طبقاً لتداخل المصالح السياسية والعسكرية والعقائدية، لذلك لا أرى من المفيد إدراجها كونها لا تغني البحث في شيء لعدم دقتها أو عدالتها.

وأغرب ما في الأمر أن الولايات المتحدة الأميركية وحلفاءها من الصهاينة والدول الإستعمارية أعلنوا الحرب على الإرهاب قبل تحديد ماهية العمل الإرهابي، معتبرين جميع ما يتناقض مع مصالحم السياسية والاقتصادية والعسكرية أعمالاً إرهابية، وكأن سياساتهم هي المقياس الأوحد لتطلعات جميع الشعوب، فأصبح الراضخون لهم مسالمين ديمقراطيين، والمعارضون إرهابيين أو داعمين للإرهاب، فيباح دمهم ومالهم وتجهز ضدهم الجيوش، فتحتل أرضهم، وتقتل شعوبهم، وتدمر مدنهم، وتستغل طاقاتهم، فداء للديمقراطية والعدالة العالمية المزيفة التي خط سطورها كل من بوش وبلير وشارون وغيرهم من أرباب الظلم العالمي.

فما هي شرعية حروبهم على العراقيين والأفغان والمجاهدين المسلمين؟

وما هو ذنب من يدافعون عن أوطانهم وشرف أمتهم ضد عدوانيتهم الحاقدة على الإسلام والمسلمين؟

ولماذا لا تشتمل الأعمال الإرهابية على احتلالهم لأوطان المسلمين وقتل أطفالهم وتدنيس مقدساتهم؟

وما هي صفة الولايات المتحدة الأميركية والصهاينة حتى يحاكموا الأمم والشعوب؟

ومن نصبهم قضاة ورعاة على أمم الأرض، وهم أبعد الناس عن معرفة الطرق المؤدية إلى أبسط مفاهيم العدالة؟

وهل تاريخهم مع الهنود الحمر أو الزنوج يؤهلهم القيام بدور القيم المدافع عن الحق والعدالة؟

طبعاً لا؛ لأن جميع الدراسات الموضوعية تؤكد على احتلال أميركا وإسرائيل رأس قائمة الدول الإرهابية في العالم، فيما لو حددت مفاهيم الأعمال الإرهابية بشكل منطقي، تراعى فيه الحقوق الطبيعية والدينية والإنسانية لكافة الأمم والشعوب.

وبناء على ذلك وجب علينا تسليط الضوء على مفهوم الإرهاب في اللغة، والدين، والقانون، والسياسة، ليتثنى لنا من خلال التعاريف الموضوعية التفريق بين الإرهابيين الحقيقيين، وضحاياهم المتهمين ظلماً بتنفيذ الإرهاب أو رعايته.

أ ـ المفهوم اللغوي:

الإرهاب كلمة مشتقة في اللغة العربية من المصدر «رهب».

رهب: في لسان العرب: تعني خاف: أي أن الإرهاب يعني التخويف، وهذا المفهوم هو مفهوم معنوي يتأتى من سلسلة أعمال وتصرفات تؤدي إلى زرع الخوف والرعب في نفس من تقع عليه هذه الأعمال أو تلك التصرفات، والإرهاب بحد ذاته يؤدي إلى الخوف والذعر والتأثير على النفس البشرية فيفقدها الأمن والأمان.

ب ـ المفهوم الديني:

قال الله تبارك وتعالى في الآية ٦٠ من سورة الأنفال في القرآن الكريم:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ

وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

من يتدبر هذه الآية الكريمة يجد أن آلة الإرهاب الموجودة فيها هي العدد والعدة اللذان يمثلان القوة العسكرية، إضافة إلى اللوجستية المفترض أن تنفق لدعم هذه القوة.

مما يعني أن كل من ينشيء جيشاً من المقاتلين، ويسلحه بالمعدات العسكرية، ويسهر على إمداده يستطيع أن يرهب عدوه أكثر فأكثر كلما كبر حجم هذا الجيش وكلما تعاظمت قدرات تسليحه وإمداده.

من هنا نستطيع أن نقرأ نظرية موازين القوى في المفهوم العسكري فنجد أن القرآن الكريم ربط الإرهاب بحجم القوة العسكرية، وبالتالي فإن القدرة على إرهاب العدو ترتبط حتماً بالإمكانات العددية والتجهيزية للآلة العسكرية، مما يسقط أمامنا الكثير من النظريات العالمية المرتبطة بالإرهاب، خاصة عند الدول النووية التي تمثل قمة الإرهاب الفعلي للعالم الذي لا يمتلك ما يوازي أو ينافس آلتها العسكرية، كما هو الحال في الشرق الأوسط الذي تنفرد فيه إسرائيل بامتلاك ترسانة نووية، ومع ذلك تدعي بأنها ضحية من ضحايا الإرهاب، وليست مولّدة أو راعية له، في حين يُمنع المسلمون حولها حتى من توليد الطاقة الكهربائية بواسطة المفاعلات النووية.

أما في الإنجيل فلا يوجد تعريف للعمل الإرهابي؛ لأن المسيح عليه السلام كان يتبع في نشر تعاليمه منطق الأمثال السلسة المتصفة بالسماحة الإنسانية، وبرغم ممارسة العنف عليه وعلى أتباعه، إلا أنه تقبله بصبر وإيمان، مسلماً بأنه تقدير إلهي.

وفي التوراة نرى سيطرة الإرهاب على معظم أسفارها، فهي الكتاب الأكثر دموية في العالم، والنفس البشرية فيها لا قيمة لها، إلا إذا كانت نفساً يهودية، والمؤسف في تعاليمها أنها تدعو إلى قتل أو استعباد جميع الشعوب غير الشعب اليهودي باعتبارها تنحدر من أصول حيوانية، وفي نفس الوقت تعتبر

هذا الإرهاب من مستلزمات الإيمان بالدين اليهودي كما سيتبين لنا عند معالجة العنف التوراتي.

لا يستطيع أحد من المسلمين أن يدعي بأننا لا نعلم هذه الحضارة وتلك العدالة العالمية التي تعتبر المغلوب على أمره المطالب بحقه إرهابياً، وتعتبر القاتل المغتصب والظالم المستبد مسالماً ديمقراطياً، ومع ذلك لا نزال نتقاعص عن الرد على كل ما يمارس ضد عالمنا الإسلامي خوفاً وجبناً من مواجهته؛ لأننا نسينا النشر والحشر ويوم الحساب، وتمسكنا بزينة الحياة الدنيا بما فيها من نعيم المال والجاه والسلطان.

لهذا لا يجب أن نضع كل اللوم على هذا العالم الاستعماري، الذي يستهتر بحقوق المسلمين؛ لأن حقوقهم لا تحفظها سوى سواعدهم إذا أرادوا حمايتها، فهي حقوق طبيعية لهم وليست منة من عظيم أو مستعمر، فمن يستنكف عن حماية حقوقه لا أظنه يستحق الحياة.

فالمسلمون اليوم بالتأكيد هم ضحايا أنفسهم بالذات قبل أن يكونوا ضحايا أي عدو آخر؛ لأنهم تركوا طريق الحق والإيمان، واتبعوا طريق المال والسلطان، فباتت الأمة الإسلامية مفككة الأوصال تتجاذبها مصالح الحكام التابعين لولاءات المستعمرين حفاظاً على العروش ومكتسباتها الدنيوية، فاستحقوا قول الشاعر:

لا يلام الذئب في عدوانه   إن يك الراعي عدو الغنم

ج ـ المفهوم القانوني:

لا نجد فرقاً كبيراً في المفاهيم المتعددة للإرهاب في القوانين الجزائية الدولية لجهة الوصف الجرمي للعمل الإرهابي، لذلك سنكتفي بتعريف الأعمال الإرهابية المنصوص عنها في قانون العقوبات اللبناني.

عرفت المادة ٣١٤ من قانون العقوبات اللبناني الصادر سنة ١٩٦٨ الأعمال الإرهابية كما يلي:

(يُعنى بالأعمال الإرهابية جميع الأفعال التي ترمي إلى إيجاد حالة ذعر

وترتكب بوسائل كالأدوات المتفجرة والمواد الملتهبة أو المحرقة والعوامل الوبائية أو المكروبية التي من شأنها أن تحدث خطراً عاماً.

وتطبيقاً لذلك فإن أي عمل يحدث خطراً عاماً ويوجد حالة من الذعر باستعمال أية وسيلة من الوسائل المنصوص عنها في هذا القانون يعتبر عملاً إرهابياً).

إذاً فان الوسيلة المستعملة والنتيجة الجرمية هما المعنيتان في التعريف اللبناني للأعمال الإرهابية، بغض النظر عن الجهة المنفذة أكانت فرداً أم جماعة أم دولة، ما دام العمل الجرمي يؤدي إلى نفس النتيجة التي هي إرهاب الناس وإشاعة الذعر بينهم، فضلاً عما يخلفه من خسائر بشرية ومادية.

فهل يعقل أن يعتبر تفجير سيارة في مدينة مأهولة من قبل فرد أو جماعة عملاً إرهابياً ولا يعتبر إرهاباً القصف الجوي المنفذ من طائرة حربية معادية، والذي يؤدي في حال استعماله على نفس الهدف أو على هدف مماثل إلى تدمير أوسع، وخسائر بشرية أكثر، فضلاً عن أن القصف بالطائرة المعادية يشكل خرقاً للسيادة الوطنية والقوانين الدولية وتحدياً ظاهراً ومباشراً للقيم الإنسانية، ولكن مهزلة المصالح المشتركة للدول الاستعمارية جعلتهم يتعامون عن الحقائق في سبيل خدمة مصالحهم التوسعية.

د ـ المفهوم السياسي، العسكري:

درجت العادة في تطبيق العدالة الدولية المتبعة أن تسمى العمليات القتالية التي تنفذها الدول بواسطة أجهزتها العسكرية بالعمليات الحربية، وتفننت في تسمية مراحل هذه العمليات منتقلة من المفهومين التقليدين المعروفين بالدفاع والهجوم إلى ما هو أبعد من ذلك، فابتكرت لتبرير إرهابها أسماء حديثة للعمليات، كالعملية الإستباقية، والعملية الوقائية، وغيرها الكثير من التسميات التي تستطيع أن تغطي بها إرهابها.

إن معظم العمليات العسكرية التي نفذت منذ أواخر القرن العشرين تحت شعار الحروب الوقائية أو العمليات الاستباقية هي عمليات محض إرهابية،

لأنها عمليات هجومية غير مبررة، نفذت على دول لم تكن بحالة حرب أو على الأقل في حالة هدنة أو وقف لإطلاق النار بين الدول الجانية والمجني عليها، كما حصل عندما أغارت إسرائيل على مطار بيروت الدولي، وعلى المفاعل النووي العراقي، ومقر قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في تونس، أو عند تهديدها بضرب المفاعلات النووية الإيرانية، وضربها لأهداف مدنية في لبنان طيلة نصف قرن وانتهاك سيادته يومياً، إضافة إلى ضرب الولايات المتحدة الأميركية لأهداف مدنية ليبية وسودانية وصومالية وعراقية وأفغانية وغيرها مما يكثر تعداده، علماً بأن جميع الدول المعتدى عليها لم تكن بحالة حرب مباشرة مع الولايات المتحدة الأميركية، ولا تشكل أي خطر عليها، وذنبها الوحيد أنها دول إسلامية تشكل خطراً على إسرائيل في حال التزامها بعقيدتها الدينية ومبادئها القومية التي تتناقض مع العقائد والمبادئ الصهيونية كما سنرى في مبحث لاحق من نفس الكتاب.

بعد هذا التوضيح أود أن ألفت نظر القارئ الكريم إلى أن الإرهاب لا يوجد له تعريف بالمفهوم السياسي حتى اليوم يمكن تطبيقه بعدالة على كافة الدول، فكل دولة تعرّف الإرهاب على هواها، بحيث ترى أن كل عمل عسكري مهما كان حجمه ونوعه حتى لو كان دفاعاً عن النفس ولا يتطابق مع مصالحها ومقتضياتها السياسية أو العسكرية فهو عمل إرهابي، وكل عمل عسكري مهما عظم ضرره وتدميره حتى لو شكل خرقاً للسيادة الدولية ولكنه يعود بالفائدة على إحدى الدول الاستعمارية فهو مع الأسف عمل مشروع، ينفذ لمصلحة الإنسانية إرساء للعدالة والديمقراطية التي أتحفنا بها الاستعمار حتى الآن في فلسطين والشيشان والبوسنة وأفغانستان والعراق، وأتمنى أن لا تنتقل إلى دول إسلامية أخرى خدمة للصهيونية وأتباعها.

ومن هنا نلمس الحاجة الماسة لتعريف العمل الإرهابي تعريفاً عالمياً عادلاً ودقيقاً، حتى نستطيع أن نصنف الأعمال العسكرية المنفذة من قبل مجموعات مختلفة الميول والأهداف وتحت شعارات متعددة، وبذلك نستطيع التفريق بين مفهومي السلاح الإرهابي والسلاح المقاوم.

فالدول الاستعمارية تتهرب من فكرة تعريف الإرهاب؛ لأنها بذلك تدين منهجيتها في التعاطي مع شعوب العالم، وتصبح ملزمة بتقبل أمرين أساسيين في الوقت نفسه.

الأمر الأول: في حال وجود تعريف عادل للإرهاب تُشرَّع دولياً جميع المقاومات العسكرية المنفذة على القوات الغازية في أي مكان من العالم، وخاصة القوات الحليفة في العراق وأفغانستان وفي جميع الدول الخاضعة للاحتلال الأمريكي والحليف.

كما تشرع جميع المقاومات العسكرية ضد إسرائيل في لبنان وسوريا وفلسطين كونها ترتبط بحق المقاومة بهدف تحرير الأرض المغتصبة.

الأمر الثاني: في حال وجود تعريف للإرهاب أيضاً تدان أميركا وحلفاؤها بالإضافة إلى إسرائيل وجميع القوى الاستعمارية في العالم بتهمة ممارسة إرهاب الدولة الذي سنتكلم عنه في المبحث اللاحق، كونهم يحتلون دولاً أو أجزاء من دول ذات سيادة لأسباب اقتصادية أو عنصرية أو عقائدية ليس إلا، مع ما يرافق احتلالهم لهذه الدول من قتل وتدمير وانتهاك لحقوق الإنسان، لا يمكن وصفه إلا بالإرهاب المنظم الذي ترعاه الدول الاستعمارية.

○ ○ ○ ○ ○



أشكال الإرهاب

يختلف شكل العمل الإرهابي باختلاف الجهة التي تقوم بتنفيذه، كما تختلف نتائجه وتأثيراته باختلاف القدرة التقنية للمصادر التي ترعاه وتخطط له وتنفذه، لذلك نرى تبايناً في الانعكاسات التي تنتج عن العمل الإرهابي لجهة حجم الأضرار وإمكانية التأثير على معنويات الشعب المستهدف، حيث ترتبط عادة بسياسة الجهة المنفذة وعقيدتها القتالية، وقدراتها العسكرية واللوجستية، إضافة إلى الوسائل المستعملة في تنفيذه.

فمن أجل الوصول إلى معرفة الفاعلية التنفيذية للأعمال الإرهابية يلزمنا تحديد الأشكال التي تمارس من خلالها بحيث يمكننا تقسيمها كما يلي:

أ ـ الإرهاب الفردي:

يعتمد تنفيذ مثل هذا النوع من الإرهاب على شخص واحد، لا يرتبط عضوياً بأي تنظيم أو دولة، فهو المخطط والمنفذ، وتأتي نتائج أعماله تبعاً للأداة المستعملة من متفجرات أو سلاح، والظروف الأمنية للبلد المستهدف، والحالة النفسية للشعب المحيط بمسرح العملية، وتبعاً لنوع الهدف موضوع العملية، وكمية الضرر الحاصل من جراء تنفيذها.

أما الدوافع لهذا النوع من الإرهاب فغالباً ما تكون ناتجة عن خلل نفسي عند المنفذ، أو كردة فعل على التعرض للظلم، أو تلبية لنزوات غرائزية بهدف إشباع بعض الغرائز المسيطرة على الكيان الإنساني والمتمثلة بغريزة الجنس، وغريزة الغذاء، وغريزة التملك، وغريزة العدوانية، ولكنها قلما تكون مرتبطة بدوافع عقائدية لأن هذا النوع يدخل غالباً تحت عنوان الإرهاب الجماعي.

ب ـ الإرهاب الجماعي:

يعتبر الإرهاب جماعياً عندما يخطط له وينفذه أكثر من شخص، كما أنه يمكن أن ينفذ من قبل شخص واحد شرط أن يكون تحت إشراف الجماعة، أو على الأقل بناء على تخطيطها وموافقتها، ويعتبر جماعياً الإرهاب المنفذ من قبل مجموعة تضم عنصرين فما فوق ويعملون تحت إمرة واحدة، ويجمعهم هدف موحد.

يشكل إرهاب الجماعات نوعاً من السلوك الإجرامي المنظم، ويتميز بدقة التخطيط والتنسيق والسرية التامة لتأمين فرص نجاحه وعدم اكتشافه بغية الوصول إلى الأهداف المرجوة من تنفيذه، ولكن مهما تعددت الأسباب والدوافع المؤدية إلى إنشاء التنظيمات الإرهابية فإنها تبقى ضمن إطار دافعين أساسيين هما، الدافع الغرائزي والدافع العقائدي.

فعلى سبيل المثال تنضوي تحت هذا النوع من الإرهاب، أعمال العنف الصادرة عن عصابات السطو المسلح، وعصابات تهريب المخدرات، والعصابات المأجورة المتخصصة بأعمال القتل والتصفيات الجسدية، وعصابات التخريب إلخ.. والتي تتوخى الكسب المادي من وراء أعمالها الإجرامية.

كما تنضوي تحت عنوان الإرهاب الجماعي العقائدي: أعمال الميليشيات المسلحة وأعمال بعض أتباع الإيديولوجيات العنصرية.

ج ـ إرهاب الدولة:

يعتبر إرهاب الدولة أخطر أنواع الإرهاب على الإطلاق نظرا للإمكانيات التقنية والمالية واللوجستية والسياسية التي تتمتع بها الدولة ويمكنها استثمارها في تنفيذ عملياتها الإرهابية، وهذا النوع من الإرهاب ينفذ إما بالطرق المباشرة بواسطة العمليات العسكرية الهجومية، وإما بالطرق غير المباشرة بواسطة المخابرات العسكرية وأجهزتها، وإما بافتعال الثورات الداخلية في البلدان المستهدفة بهذا النوع من الإرهاب.

ومن المؤسف أنه في القرن العشرين سيطر مفهوم إرهاب الدولة على كافة

بقع الأرض، فأدى إلى حربين عالميتين وعدة ثورات دمرت العديد من البلدان وخلفت ملايين القتلى والجرحى وأحدثت تغييرات ديموغرافية في الكثير من دول العالم، حيث لا تزال نتائجها تتفاعل حتى يومنا هذا، وخاصة فيما يتعلق باغتصاب اليهود لأرض فلسطين وتشريد الشعب الفلسطيني منتصف القرن العشرين الذي أوجد الأرضية الخصبة لحروب عقائدية لا يمكن أن تنتهي إلا بحل عادل للصراع العربي الإسرائيلي.

سيقول قائل كيف يمكنني اعتبار العمليات العسكرية المنفذة من قبل دول ذات سيادة معترف بها دولياً أعمالاً إرهابية، فأجيب بدوري سائلاً العالم عن الأسباب التي تدفع هذه الدول إلى محاربة دول أخرى، وبأي حق تشن حروبها ضد الشعوب الآمنة ومن أعطاها الوصاية على أمم العالم؟

أو ليست الروح الاستعمارية بجميع دوافعها المادية والاقتصادية والسياسية والعنصرية هي المسؤولة عن احتلال الدول القوية للدول الضعيفة؟

وهل يعتقد أحد منكم أن الرئيس جورج بوش وإدارته، وطوني بلير وإدارته، وجميع حلفائهم يحبون الشعب العراقي كل هذا الحب، حتى يتطوعوا بكل حنان ومحبة ويرسلوا ابناءهم ليَقتلوا ويُقتلوا من أجل إرساء الديمقراطية في عراقهم الحبيب؟

أم أن رائحة النفط، وأهداف إسرائيل التوسعية وعنصريتها العدائية للمسلمين أدت إلى احتلال العراق، والانتشار في عدة دول من دول العالم الإسلامي وتهديد الأمن القومي للدول التي لم يتواجدوا فيها حتى الآن؟

إذاً فإن إرهاب الدولة يؤدي في جميع الأحوال إلى نتائج أخطر وأدهى من إرهاب الجماعات والأفراد نظراً لتعاظم إمكانات الدول إذا ما قيست بالنسبة لإمكانات الجماعات، فالترسانات النووية، والأساطيل البحرية والجوية، إضافة إلى القوات البرية بما لديها من المدافع والدبابات وجميع وسائل الدمار تشكل خطراً إرهابياً حقيقياً بمجرد حيازتها وتجهيزها، فكيف هي الحال عند إساءة استخدامها كما هو حاصل اليوم من قبل القوى العالمية الاستعمارية.

فالتاريخ يشهد على المجازر النازية والفاشية والصهيونية وغيرها، وهيروشيما وناكازاكي لا تزالان تجسدان روح العدالة الأميركية في التعاطي مع أرواح الأبرياء وحرمات الأوطان والشعوب، وخاصة إذا تذكرنا الهنود الحمر ومصيرهم المخزي للولايات المتحدة الأميركية وحضارتها المزيفة.

وأخيراً أرى أنه بعد الاعتراف بجميع دول العالم وبسيادتها القانونية على كامل أراضيها وخاصة الدول المنضوية تحت لواء الأمم المتحدة، تصبح أية حرب هجومية تشنها دولة ما مهما علا شأنها على دولة أخرى عملاً إرهابياً مهما كانت الأسباب والدوافع التي أعلنت هذه الحرب بسببها، فالحق المطلق بالسيادة والاستقلال المحددين بالمواثيق الدولية لا يفرق بين الدول الصغيرة والدول الكبيرة، ولا بين الدول القوية والدول الضعيفة؛ لأن الكيان القانوني واحد عند جميع الدول، وحق تقرير المصير مقدس قانوناً، والسلم والتفاهم والتقاء الحضارات مفاهيم إلهية وإنسانية فانتهاكها بغير حق يشكل خروجاً عن الإرادة الإلهية، وخرقاً للأنظمة والمواثيق الدولية.

نعم إن النظام العالمي الذي تديره الولايات المتحدة الأميركية ومن يدور في فلكها هو نظام إرهابي صرف لا يراعي إلا المصالح المادية للشعب الأمريكي والشعوب الحليفة على حساب مصالح الدول والشعوب الأخرى، وفي نفس الوقت يؤدي إلى وضع الشعب الأميركي والحليف في موضع العداء للشعوب المستهدفة بسياسة الولايات المتحدة الأميركية العدائية؛ لأنه لا يستند إلى أية عدالة إلا عدالة شريعة الغاب ومنطق القوة، فليس ظلماً أن يوصف بالعمل الإرهابي المنظم، كل عمل عسكري هجومي مرتكب من أية جهة دولية على جهة دولية أخرى مهما كانت أسبابه ومبرراته.

يضاف إلى إرهاب الدولة شكل آخر من أشكال الإرهاب، لايقل خطورة عن الإرهاب الخارجي، يمكننا تسميته بالإرهاب الداخلي، وهذا النوع يتمثل بطريقة ممارسة الحكم في الأنظمة الدكتاتورية والأنظمة الشمولية، حيث تسيطر فكرة القائد أو الحزب على جميع المفاصل السياسية للدولة، ويصبح الفرد مجرداً من أبسط حقوقه القانونية وفي مقدمها حرية الاختيار والتعبير عن الرأي.

ففي معظم دول العالم الثالث يسود هذا النوع من الإرهاب بتشجيع من القوى الإستعمارية التي تدعم الحكام في تثبيت سلطانهم مقابل تعهد هؤلاء الحكام بالقضاء على جميع الظواهر الشعبية الرافضة للسياسات الاستعمارية في البلدان التي يحكمونها، وغالباً ما تؤدي سياسة القهر والعنف الممارس من الدولة على رعاياها إلى نوع من الإرهاب المضاد كالذي بدأنا نلمح بوادره في عدة دول آسيوية وإفريقية، وبالتالي يصبح الحاكم تائهاً بين مستعمر يستعبده وشعب يكرهه منتظراً الفرصة السانحة لتنحيته أو القضاء عليه.





دوافع الإرهاب

يعتبر الإرهاب ظاهرة من الظواهر البشرية التي تتأثر بالعوامل العقائدية، والاجتماعية، والبيئية، والاقتصادية، وتلعب الغرائز دوراً هاماً في خلق الأجواء المناسبة لممارسة الأعمال الإرهابية، كما يفترض أن تلعب تعاليم الأديان السماوية دور الكابح المانع لهذه الأعمال العدوانية.

ولكن الواقع المر الذي يعيشه العالم اليوم في زمن الحداثة، أظهر ابتعاده عن التعاليم الدينية الحقة، فاختلت القيم، وعمت الأنانيات، وتضاربت المصالح وانتشرت الفتن، فأصبح الإرهاب بجميع أشكاله الفردية والجماعية والدولية يقض مضاجع كافة المجتمعات الإنسانية، بحيث أصبح من الملحِّ الوقوف على مسبباته ودوافعه للتمكن من علاجه والسيطرة عليه.

على الرغم من تعدد الأسباب المؤدية إلى ارتكاب الأعمال الإرهابية إلا أنها جميعاً تندرج تحت عنوانين رئيسيين هما:

الدوافع العقائدية.

الدوافع الغرائزية.

○ ○ ○ ○ ○



الدوافع العقائدية

يأتي استعمال القوة في سبيل الدفاع عن الإيديولوجيات العنصرية في رأس لائحة الأسباب المشجعة على ارتكاب الأعمال الإرهابية، ثم يليه القتال المنفذ استناداً إلى تعاليم بعض الكتب الدينية المحرفة التي تتبنى القتل والدمار والتنكيل لأسباب تتعلق بمفاهيم عنصرية واقتصادية.

لذلك سنقدم بعض الشروحات عن العمليات الإرهابية المنفذة بتأثير من الدوافع الإيديولوجية كونها تندرج تحت عنوان الإرهاب العقائدي، ثم ننتقل لنفصل ما جاء في الكتب السماوية من تحليل وتحريم لقتل الأنفس البشرية أو انتهاك حقوقها الطبيعية.

الإيديولوجيات والإرهاب:

في غياب المفاهيم الدينية الراعية للعلاقات التشريعية والاجتماعية في المجتمعات البشرية، تزدهر القوانين الوضعية والفلسفات الوجودية والمادية وتتعدد النظريات الفكرية والفلسفية المتناقضة، ويلجأ كل فريق من مؤيدي هذه العقيدة أو تلك إلى جمع الأنصار والمؤيدين فتنشأ بذلك التكتلات البشرية المتعددة الميول والأهواء، وتتناحر فيما بينها لفرض آرائها بالقوة عندما يستحيل عليها بلوغ أهدافها عن طريق الحجة والإقناع.

وبمجرد استعمال القوة لفرض نظرية وضعية مهما سمت أهدافها يمكننا اعتبارها إرهاباً؛ لأن استعمال القوة في مثل هذه الحالات يعتبر امتهاناً لحرية الرأي والتعبير التي ترعاها جميع الأعراف والمواثيق الدولية، والمؤسف في هذا المجال أن القرن العشرين شهد العديد من الحروب والثورات العقائدية التي خلفت مئات الآلاف من القتلى والجرحى وملايين المضطهدين في شتى أنحاء العالم.

ففي ظل هذه الإيديولوجيات ظهرت عدة تجمعات عقائدية وسياسية بعيدة عن جوهر المفاهيم الدينية، واتبعت الصراع المسلح في سبيل تحقيق أهدافها التى غالباً ما كانت تهدف إلى قلب أنظمة الحكم في البلدان التي تنتمي إليها، وفي مجمل الأحيان كانت ترتبط بقوى دولية خارجية لتمدها بالمال والسلاح والتوجيه والخبرات التقنية والاستخباراتية، ومن الغريب والمؤسف أيضاً أن هذه الجماعات كانت ترتبط بأنظمة بعض الدول الفاعلة على مسرح القرار العالمي، لذلك لم يكن ينظر إليها كحركات إرهابية حتى لو مارست الإرهاب الصرف في الدول التي تنتمي إليها، نظراً لارتباطها بأهداف سياسية تتبناها الدول الداعمة أو الموجهة وتؤمن لها التغطية اللازمة في المحافل الدولية.

يضاف إلى التنظيمات العقائدية شكل آخر من أشكال الإرهاب الجماعي والدولي يتمثل بممارسات الحركات العنصرية؛ لأنها تعتمد في تنفيذ سياساتها على معايير لا إنسانية في تعاطيها مع المجتمعات الغريبة عنها، منتهكة بذلك أبسط المفاهيم الدينية والفكرية والأخلاقية. وبالرغم من اقتناع معظم دول العالم بشرعة حقوق الإنسان، والتأكيد على حق تقرير المصير لجميع شعوب الأرض، إلا أننا ما زلنا نعاني من عثرات عديدة في تطبيق هذه المبادئ، بسبب وجود بعض المفاهيم العنصرية غيرالقادرة على التعايش مع غيرها من شعوب العالم على أساس متكافئ كالصهيونية العالمية وسواها.

○ ○ ○ ○ ○



الإرهاب في الكتب السماوية والكتب الرديفة

بعد دراسة متأنية لكافة الكتب السماوية المعتمدة، سنضع بين يدي القارئ الكريم ما يفيده في التعرف على نصوص التوراة والإنجيل والقرآن وما يتخللها من الحقائق الهامة التي تبين له بصورة لا لبس فيها دعوة بعض الكتب السماوية المحرفة فعلاً للإرهاب بجميع مفاهيمه العسكرية والسياسية والفكرية والاقتصادية، وهي من يحمل أتباعها زوراً لواء مقاومته، في حين أن بعض الأمم المتهمة بالإرهاب تعتبر المدافع الفعلي عن قيم النفس البشرية وحريتها، ولكن سلطان المال والقوة العسكرية أدى إلى قلب المفاهيم العالمية فبات الظالم بطلاً مؤمناً وأصبح القديس المغلوب على أمره شيطاناً.

وأعود هنا لأؤكد أن هذا النهج ليس حديث التكوين إنما نتلمس جذوره المتفرعة من تاريخ سحيق، بدأ من تحريف التوراة وصولاً إلى المفاهيم العنصرية للمنظمات الصهيونية وغيرها من الحركات الاستعمارية، لذلك سنفندها بنداً بنداً لنصل إلى خلاصة حقيقية تبين فيها كل الجهات والحركات التي يتأصل فيها الإرهاب بجميع مضامينه الدينية والعقائدية.

وإغناء للبحث، سأنقل عن الكتب السماوية معظم المقاطع والآيات التي تشرع القتل والحروب معلقاً على حيثياتها وأحقيتها ومبيناً الدوافع الكامنة وراءها، آخذاً بعين الاعتبار اختلاف المفاهيم بين الحروب الدعوية ضد الكفار والمشركين والحروب العنصرية التي تنادي بها بعض الكتب السماوية المحرفة.

وكون الكتب السماوية لا تعتبر المسؤولة الوحيدة عن تبرير الأعمال الحربية الإرهابية، فإننا سنستطرد إلى ما في بعض الملاحق الدينية كالتلمود وإلى بعض العقائد المستوحاة من تحريف الكتب السماوية كالأسرار الماسونية وبروتوكولات حكماء صهيون وغيرها.

التوراة والعنف

من يقرأ التوراة يجدها أكثر الكتب السماوية دموية، فلا يخلو سفر من أسفارها من أخبار القتل والدمار والتنكيل حتى بين الأهل والإخوة، وكأنها صيغت لتطبع قلوب معتنقيها بالقسوة والغلظة. وأهم ما يميز التوراة عن غيرها من الكتب الدينية، أنها لا تتوسع في ذكر غيبيات الآخرة والنشر ويوم الحساب، وهذا ما يجعل منها منهجاً دنيوياً أكثر من كونها منهجاً روحانياً، خاصة وأنها تدخل اليهود الجنة بمجرد أنهم يهود، وليس نتيجة لأعمالهم الدنيوية، مما يحررهم من فكرة الالتزام بعنصر الخير كذخيرة يحملها الإنسان معه إلى يوم العرض والحساب، فتباح عندهم جميع التصرفات الدنيوية بجميع تشعباتها لغياب الرادع الإيماني الديني الذي يحدد المنهجية الموصلة إلى كل من الجنة والنار، لذلك نرى متبعي التوراة يبيحون لأنفسهم القيام بكثير من أعمال العنف التي تنهى عنها باقي الأديان الأخرى. ولكثرة ما فيها من العنف فضلت تقسيم أخبار القتل التي تحتويها التوراة إلى عدة أبواب تسهيلاً للاطلاع عليها مع التذكير بأنني لم أتناول إلا الجزء اليسير من هذه الأخبار لكونها الأكثر أهمية حسب رأيي:

١ ـ سياسة احتلال الأرض:

لن أعود إلى ذكر أرض الميعاد الممتدة من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات، كونها وردت معنا في مبحث سابق وأثبتنا عدم صحة حصريتها باليهود.

لذا سأنتقل مباشرة إلى ما جاء في سفر الخروج الإصحاح الثالث والعشرين ٢٣ ـ فإن ملاكي يسير أمامك ويجيء بك إلى الأموريين والحثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين. فأبيدهم.

وفي سفر التثنية، الإصحاح الأول:

٦ ـ الرب إلهنا كلمنا في حوريب قائلاً. كفاكم قعود في هذا الجبل. ٧ ـ تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض الكنعاني ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات. ٨ ـ انظر قد جعلت أمامكم الأرض. ادخلوا وتملكوا الأرض التي أقسم الرب لآبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم.

فمن يقرأ سفر الخروج يجد فيه أن الله ﷻ كان يعد إبراهيم ونسله جميعاً عليهم السلام بأرض كنعان وذلك واضح في عدة إصحاحات منه، ولكنه بدءاً من سفر التثنية يحول الوعد بها لإبراهيم وتخصيصاً لإسحاق ويعقوب دون ذكر إسماعيل عليه السلام، من هنا نبدأ نتلمس امتداد أيدي اليهود إلى التوراة بالتحريف لإبعاد إسماعيل عليه السلام ونسله عن هذه الأرض الموعودة كما أسلفنا سابقاً.

بعد هذا نرى أن أطماع اليهود بالأراضي المحيطة بمملكة إسرائيل واضحة في أغلب أسفار التوراة، بحيث يرد اسم لبنان وحماه ودمشق وترشيش وصور وصيدا وبابل وموآب ومصر وبلاد العرب، وغيرها الكثير من البلدان التي تدل على أطماع اليهود التوسعية في عالمنا الشرق أوسطي، وهذا المعتقد التوراتي المنشأ لا يزال حتى يومنا هذا هدفاً استراتيجياً عند الإسرائيليين الذين يعملون منذ منتصف القرن الماضي على تحقيقه بالقوة العسكرية، مستفيدين من ضعف الدول العربية والإسلامية وتشتتها بالدرجة الأولى، ومن دعم الجهات الدولية المعادية للإسلام بالدرجة الثانية.

فيا أمة الإسلام! ويا شعب العرب! هل قرأتم صحيفة الجيروزاليم بوست بتاريخ ١٠/٨/١٩٦٧ وتفهمتم قصد موشي دايان عندما قال:

إذا كان لدينا كتاب التوراة.

وإذا اعتبرنا أنفسنا شعب التوراة.

فيجب أن نمتلك كل أرض التوراة.

على الأقل يمكنني أن أسأل مسؤولي شعوب هذه الأرض المقصودة بكلام الجنرال دايان، ماذا فعلتم لمواجهة هذا التهديد الصريح لبلدانكم وشعوبكم؟

وهل أن سياساتكم المتبعة تستطيع منع تنفيذ مثل هذا المخطط سيما وأنه ليس خافياً عليكم ولا على أجدادكم منذ آلاف السنين؟

نعم هذه هي سياسة التوراة بالنسبة لكل أرض بلاد العرب المذكورة اسمياً في التوراة، فكيف يكون ذلك وفي هذه الأرض يعيش المسلم المؤمن والمسيحي الراهب، فمن ذا الذي سيبيح دمهم وبأي حق سيُطردون من ديارهم كما حصل مع إخوانهم الفلسطينيين عام ١٩٤٨، وبأي شرع سيباد من يعبدون الله ممن يستوطنون الأرض بين النيل والفرات؟

فيا أيها العالم الذي يدعي العدالة والحضارة:

أهؤلاء العرب بنظركم هم إرهابيو العالم؟

أم أنهم ضحايا عدالتكم المنقادة تحت نير الاستغلال الصهيوني، الذي شوه مفاهيمكم وأعمى ضمائركم وحولكم إلى أدوات طيعة ينفذ بواسطتها عقيدته الحاقدة المبنية على مبدأي العنف والإرهاب؟

٢ ـ سياسة قتل الشعوب والجماعات:

لو أردت إدراج جميع ما في التوراة من أخبار القتل لاضطررت أن أنسخ نصفها على الأقل، ولكن إدراج بعض النماذج يعطي فكرة واضحة عن السياسة اليهودية المتبعة في تطبيق المفاهيم التوراتيه المبنية على العنف والإرهاب. لذلك سنستشهد ببعض ما جاء في أسفارها من حضارة القتل والتنكيل:

أعود وأذكر بما جاء في سفر الخروج الذي مر معنا من أخبار الإبادة للأموريين والحثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين، ومن ثم أتابع ما جاء في باقي الأسفار.

سفر العدد:

الإصحاح الحادي والثلاثون:

٧ ـ فتجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر. ٨ ـ وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم. أوي وراقم وصور وحور ورابع. خمسة ملوك

مديان. وبلعام بن بعور قتلوه بالسيف. ٩ ـ وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم. ١٠ ـ وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار. . . . . ١٧ ـ فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها. ١٨ ـ لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات.

سفر التثنية:

الإصحاح الثاني:

٣٣ ـ فدفعه الرب إلهنا أمامنا وضربناه وبنيه وجميع قومه. ٢٤ ـ وأخذنا كل مدنه في ذلك الوقت وحرمنا من كل مدينة الرجال والنساء والأطفال. لم نبق شارداً. (حرمنا تعني قتلنا بالسيف حسب التوراة).

الإصحاح الثالث:

٣ ـ فدفع الرب إلهنا إلى أيدينا عوج أيضاً ملك باشان وجميع قومه وضربناه حتى لم يبق له شارد. ٤ ـ وأخذنا كل مدنه في ذلك الوقت. لم تكن قرية لم نأخذها منهم. ستون مدينة كل كورة أرجوب مملكة عوج في باشان. ٥ ـ كل هذه كانت مدناً محصنة بأسوار شامخة وأبواب ومزاليج سوى قرى الصحراء الكثيرة جداً. ٦ ـ فحرمناها كما فعلنا بسيحون ملك حشبون محرمين كل مدينة الرجال والنساء والأطفال.

سفر يشوع:

الإصحاح السادس:

٢٠ ـ فهتف الشعب وضربوا بالأبواق. وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف هتافاً عظيماً فسقط السور في مكانه وصعد الشعب إلى المدينة كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة. ٢١ ـ وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف. . . . . ٢٤ ـ وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها. إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب.

الإصحاح الثامن:

١٩ ـ فقام الكمين بسرعة من مكانه وركضوا عندما مد يده ودخلوا المدينة وأخذوها وأسرعوا وأحرقوا المدينة بالنار..... ٢٢ ـ وهؤلاء خرجوا من المدينة للقائهم فكانوا في وسط إسرائيل هؤلاء من هنا وأولئك من هناك. وضربوهم حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت. ٢٣ ـ وأما ملك عاي فأمسكوه حياً وتقدموا به إلى يشوع. ٢٤ ـ وكان لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل في البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعاً بحد السيف حتى فنوا أن جميع إسرائيل رجع إلى عاي وضربوها بحد السيف. ٢٥ ـ فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفاً جميع أهل عاي.

سفر القضاة:

الإصحاح الأول:

٤ ـ فصعد يهوذا. ودفع الرب الكنعانيين والفرزيين بيدهم فضربوا منهم في بازق عشرة آلاف رجل.... ٢٤ ـ فرأى المراقبون رجلاً خارجاً من المدينة فقالوا له أرنا مدخل المدينة فنعمل معك معروفاً. ٢٥ ـ فأراهم مدخل المدينة فضربوا المدينة بحد السيف وأما الرجل وكل عشيرته فأطلقوهم.

الإصحاح الثالث:

٢٩ ـ فضربوا من موآب في ذلك الوقت نحو عشرة آلاف رجل كل نشيط وكل ذي بأس.... ٣١ ـ وكان بعده شمجر بن عناة فضرب من الفلسطينيين ست مئة رجل بمنساس البقر وهو أيضاً خلص إسرائيل.

الإصحاح الرابع:

١٥ ـ فأزعج الرب سيسرا وكل المركبات وكل الجيش بحد السيف أمام باراق. فنزل سيسرا عن المركبة وهرب على رجليه. ١٦ ـ وتبع باراق المركبات والجيش إلى حروشة الأمم. وسقط كل جيش سيسرا بحد السيف. لم يبق ولا واحد. ١٧ ـ وأما سيسرا فهرب على رجليه إلى خيمة ياعيل امرأة حابر القيني. لأنه كان صلح بين يابين ملك حاصور وبيت حابر القيني. ١٨ ـ فخرجت ياعيل

لاستقبال سيسرا وقالت له مل يا سيدي مل إلي. لاتخف. فمال إليها إلى الخيمة وغطته باللحاف. ١٩ ـ فقال لها اسقيني قليل ماء لأني قد عطشت. ففتحت وطب اللبن وأسقته ثم غطته. ٢٠ ـ فقال لها قفي بباب الخيمة ويكون إذا جاء أحد وسألك أهنا رجل أنك تقولين لا. ٢١ ـ فأخذت ياعيل امرأة حابر وتد الخيمة وجعلت الميتدة في يدها وفارت إليه وضربت الوتد في صدغه فنفذ إلى الأرض وهو متثقل في النوم ومتعب فمات.

الإصحاح الثامن:

١٠ ـ وكان زبح وصلمناع في قرقر وجيشهما معهما نحو خمسة عشر ألفا كل الباقين من جميع جيش بني المشرق. والذين سقطوا مئة وعشرون ألف رجل مخترقي السيف.

سفر الملوك الأول:

الإصحاح الحادي عشر:

١٥ ـ وحدث لما كان داود في أدوم عند صعود يوآب رئيس الجيش لدفن القتلى وضرب كل ذكر في أدوم. ١٦ ـ لأن يوآب وكل إسرائيل أقاموا هناك ستة أشهر حتى أفنوا كل ذكر في أدوم.

الإصحاح العشرون:

٢٩ ـ فنزل هؤلاء مقابل أولئك سبعة أيام. وفي اليوم السابع اشتبكت الحرب فضرب بنو إسرائيل من الأراميين مئة ألف راجل في يوم واحد. ٣٠ ـ وهرب الباقون إلى أفيق إلى المدينة وسقط السور على السبعة والعشرين ألف الباقين.

سفر أخبار الأيام الأول:

الإصحاح الثامن عشر:

١ ـ وبعد ذلك ضرب داود الفلسطينيين وذللهم وأخذ جت وقراها من يد الفلسطينيين. ٢ ـ وضرب موآب فصار الموآبيون عبيداً لداود يقدمون هدايا. ٣ ـ وضرب داود هدرعزر ملك صوبة في حماه حين ذهب ليقيم سلطته عند نهر الفرات. ٤ ـ وأخذ داود منه ألف مركبة وسبعة آلاف فارس وعشرين ألف

راجل وعرقب داود خيل المركبات وأبقى منها مئة مركبة. ٥ ـ فجاء أرام دمشق لنجدة هدرعزر ملك صوبة فضرب داود من أرام اثنين وعشرين ألف رجل.

قبل الدخول في التحليل والاستنتاج حول هذه الفقرة سأضع بين أيديكم تناقضاً بيناً من نفس التوراة يشير إلى غضب الرب على بني إسرائيل لقتلهم نفس الشعوب التي تدعو التوراة لقتلها.

في سفر الخروج نجد في الإصحاح الثالث والعشرين ما يأتي:

٢٣ ـ فإن ملاكي يسير أمامك ويجيء بك إلى الأموريين والحثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين. فأبيدهم.

ثم ننتقل إلى سفر صموئيل الثاني وتحديداً إلى الإصحاح الحادي والعشرين. ١ ـ وكان جوع في الأرض في أيام داود ثلاث سنين سنة بعد سنة فطلب داود وجه الرب. فقال الرب هو لأجل شاول ولأجل بيت الدماء لأنه قتل الجبوعيين. ٢ ـ فدعا الملك الجبوعيين وقال لهم. والجبوعيون ليسوا من بني إسرائيل بل من بقايا الأموريين وقد حلف لهم بنو إسرائيل وطلب شاول أن يقتلهم لأجل غيرته على بني إسرائيل ويهوذا.

ففي سفر الخروج الرب هو الذي سيبيد الأموريين المصنفين في أول لائحة الشعوب المعدة للإبادة وفي صموئيل الثاني يضرب شعب إسرائيل بالجوع ثلاث سنوات متتالية لأن شاول طلب قتل الجبوعيين أبناء الأموريين. فاضطر داود إلى استدعائهم والتباحث معهم طالباً منهم إرشاده إلى طريقة يكفر بها عن الذنب الذي اقترفه شاول بحقهم.

فإذا كان الرب آمراً بقتلهم في سفر الخروج كيف يعاقب بسببهم بني إسرائيل بالمجاعة في صموئيل الثاني ما داموا ينفذون مشيئته؟

لا أظن أن أحداً يستطيع فهم هذا التناقض الإلهي إلا إذا اقتنع بأن نصوص التوراة صيغت بفعل فاعل لتبرر تصرفات بني إسرائيل التي تمليها عليهم أهواؤهم السياسية التي أدت إلى تضارب في نصوص التوراة تبعاً للظرف والزمان الذي عاشه اليهود.

الاستنتاج:

من يقرأ حروب التوراة يرى أنها لم تكن حروباً تبشيرية أملتها ضرورات الدعوة إلى عبادة الله الواحد رب العالمين جميعاً، بل يجدها حروباً عنصرية تدميرية بكل مراحلها، هدفها احتلال الأرض وقتل الشعوب، لذلك أستبعد أن يكون الله ﷻ ـ الذي اختار اليهود شعباً له كما يدعون ـ قد كلفهم بهذه الحروب التى تؤلب عليهم جميع هذه الشعوب المذكورة في التوراة.

ولكنني متأكد من أن حروبهم كانت حروب احتلال وإبادة في سبيل السيطرة على منطقة الشرق الأوسط بعد تفريغها من شعوبها، وحتى يأمنوا هذه الشعوب لم يكتفوا باحتلال أراضيهم فحسب بل عمدوا إلى إبادتهم حتى لا يبقى منهم مطالب يعرضهم فيما بغد إلى حروب تهدف إلى استرداد الأرض والسيادة.

فما هي السياسة المتبعة في هذا القتال المستند إلى التوراة وما هي خصائصه؟

ـ سياسة الإبادة العرقية لعدد من الشعوب القاطنة بين نهري النيل والفرات في سبيل التفرد بهذه الأرض، وإقامة مملكة إسرائيل الكبرى عليها.

ـ سياسة قتل الأطفال والنساء والشيوخ وحتى البهائم والتمثيل بهم.

ـ سياسة إحراق المدن بالنار بما تحتويه من البيوت والناس والأثاث.

ـ المباهاة بأعداد القتلى الذين يسقطون ضحايا المجازر اليهودية، مع غياب أي ذكر للجرحى والأسرى في كل حروبهم إلا نادراً، مما يدل على أنهم كانوا يقتلون الأسرى والجرحى.

ـ إحاكة الأساطير حول قوة مقاتليهم وتصويرهم وكأنهم يستطيعون محاربة جيش بأكمله، مثل شمشون وشمجر بن عناة الذي ضرب وحده ٦٠٠ فلسطيني بمنساس البقر، وغيرهم الكثير ممن حيكت حولهم الأساطير والروايات.

ـ عدم إغاثة المستجير والغدر به كما حصل مع سيسرا على يد ياعيل التي استجار بها.

- تشجيع الخيانة والغدر في صفوف الأعداء مقابل سلامتهم.

- السعي وراء الذهب والفضة والنحاس والحديد وعدم التفريط بها أثناء القتال، حيث نجد أنها الوحيدة التي كانوا يشددون عليها من الغنائم.

يضاف إلى طبيعة اليهود العدائية ميلهم إلى مخالفة أكثر نصوص التوراة الواردة في سفر الخروج والتي توصيهم بمعاملة الغرباء معاملة جيدة، مذكرة إياهم بأيام غربتهم في أرض مصر.

٣ ـ سياسة قتل الأهل والأقارب:

لو صح ما في التوراة من أن الله ﷻ سلط اليهود على باقي الشعوب كونهم شعبه المختار لكان الأمر يستحق عناء التفتيش والتنقيب عن حكمة خلق مثل هذه الشعوب لإبادتها على يد الإسرائيليين، ولكن القتل حسب نصوص التوراة يتجلى وكأنه الطابع الأساسي الذي يطبع معظم أسفارها. ففي حال وجود العدو تتفتق غريزة القتل عند اليهود فيشبعون نهمهم للدم، أما في حال عدم تمكنهم من الوصول إلى العدو الخارجي فيشبعون غريزتهم العدوانية من دماء أهلهم وأقاربهم، مما يؤكد مرة جديدة أن التوراة المتداولة ليست إلهية التنزيل؛ لأن الله ﷻ الذي أباح لهم قتل جمهور من الأمم كما يدعون لا يعقل أنه أباح لهم قتل أنفسهم وأهليهم في سبيل الملك والسلطان أو بسبب نزاعات لا علاقة لها بعبادة الله.

فبالعودة إلى أسفار التوراة نجد الكثير من هذه الأخبار التي لا نعلم الحكمة الدينية من ورائها، إلا إذا كان سبب ذكرها يشير إلى قساوة اليهود في مواجهة العالم لإرهابه وإخضاعه لمشيئتهم، فمن لا يتورع عن قتل ابنه أو أخيه يستطيع بكل برودة أعصاب أن يقتل من يشاء من الناس.

لذا سننقل عن التوراة بعض الأمثال عن عمليات القتل المنفذة على الأهل والأقارب: فماذا نرى؟

سفر التثنية:

الإصحاح الحادي والعشرون:

١٨ ـ اذا كان لرجل ابن معاند ومارد لا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه

ويؤدبانه فلا يسمع لهما. ١٩ ـ يمسكه أبوه وأمه ويأتيان به إلى شيوخ مدينته وإلى باب مكانه. ٢٠ ـ ويقولان لشيوخ مدينته. ابننا معاند ومارد لا يسمع لقولنا وهو مسرف وسكير. ٢١ ـ فيرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت. فتنزع الشر من بينكم ويسمع كل إسرئيل ويخافون.

إذا كان لرجل ابن معاند ومارد لا يسمع لقول أبيه وأمه، هكذا حدد الذنب الذي اقترفه هذا الابن الضال بنص توراتي، ثم يأتي به أهله إلى شيوخ المدينة ويضيفون إليه تهمتين جديدتين هما الإسراف والسكر، حتى يسهلوا على شيوخ مدينتهم الحكم برجمه حتى الموت.

حنان لا يضاهيه حنان، وعطف لا حدود له في التعامل مع فلذات الأكباد في أمة لا تقبل معاندة الولد لوالديه، ولكنها تقبل بقتله رجماً بتحريض منهما، فقط لإخافة بني إسرائيل.

سفر القضاة:

الإصحاح التاسع:

١ ـ وذهب أبيمالك بن يربعل إلى شكيم إلى إخوةِ أمه وكلمهم وجميع عشيرة بيت أبي أمه قائلاً. ٢ ـ تكلموا الآن في آذان جميع أهل شكيم. أيما هو خير لكم. أأن يتسلط عليكم سبعون رجلاً جميع بني يربعل أم أن يتسلط عليكم رجل واحد. واذكروا أني أنا عظْمكم ولحمكم. ٣ ـ فتكلم إخوة أمه عنه في آذان كل أهل شكيم بجميع هذا الكلام. فمال قلبهم وراء أبيمالك لأنهم قالوا أخونا هو. ٤ ـ وأعطوه سبعين شاقل فضة من بيت بعل بريث فاستأجر بها أبيمالك رجالاً بطالين طائشين فسعوا وراءه. ٥ ـ ثم جاء إلى بيت أبيه في عفرة وقتل إخوته بني يربعل سبعين رجلاً على حجر واحد.

الإصحاح الحادي عشر:

٣٠ ـ ونذر يفتاح نذراً للرب قائلاً. إن دفعت بني عمون ليدي. ٣١ ـ فالخارج الذي يخرج من أبواب بيتي للقائي عند رجوعي بالسلامة من عند بني عمون يكون للرب وأصعده محرقة........ ٣٤ ـ ثم أتى يفتاح إلى

المصفاة إلى بيته. وإذا بابنته خارجة للقائه بدفوف ورقص. وهي وحيدة. لم يكن له ابن ولا ابنة غيرها. ٣٥ ـ وكان لما رآها أنه مزق ثيابه وقال آه يا بنتي فقد أحزنتني حزناً وصرت بين مكدري لأني قد فتحت فمي إلى الرب ولا يمكنني الرجوع. . . . . ٢٩ ـ وكان عند نهاية الشهرين أنها رجعت إلى أبيها ففعل بها نذره الذي نذر.

سفر صموئيل الأول:

الإصحاح الثاني والعشرون:

١٦ ـ فقال الملك موتاً تموت يا أخيمالك أنت وكل بيت أبيك. ١٧ ـ وقال الملك للسعاة الواقفين لديه دوروا واقتلوا كهنة الرب لأن يدهم أيضاً مع داود ولأنهم علموا أنه هارب ولم يخبروني. فلم يرضَ عبيد الملك أن يمدوا أيديهم ليقعوا بكهنة الرب. ١٨ ـ فقال الملك لدواغ دُر أنت وقَعْ بالكهنة. فدار دواغ الأدومي ووقع هو بالكهنة وقتل في ذلك اليوم خمسة وثمانين رجلاً لابسي أفود كتان. ١٩ ـ وضرب نوب مدينة الكهنة بحد السيف. الرجال والنساء والأطفال والرضعان والثيران والحمير والغنم بحد السيف.

سفر صموئيل الثاني:

الإصحاح الثالث عشر:

٢٨ ـ فأوصى أبشالوم غلمانه قائلاً انظروا. متى طاب قلب أمنون بالخمر وقلت لكم اضربوا أمنون فاقتلوه. لا تخافوا. أليس أني أمرتكم. فتشددوا وكونوا ذوي بأس. ٢٩ ـ ففعل غلمان أبشالوم بأمنون كما أمر أبشالوم.

سفر الملوك الأول:

الإصحاح الثاني:

٢٣ ـ وحلف سليمان الملك بالرب قائلاً هكذا يفعل لي الله وهكذا يزيد إنه قد تكلم أدونيا بهذا الكلام ضد نفسه. ٢٤ ـ والآن حي هو الرب الذي ثبتني وأجلسني على كرسي داود والذي صنع لي بيتاً كما تكلم أنه اليوم يقتل أدونيا. ٢٥ ـ فأرسل الملك سليمان بيد بناياهو بن يهوياداع فبطش به فمات.

نفس الإصحاح:

٢٨ ـ فأتى الخبر إلى يوآب. لأن يوآب مال وراء أدونيا ولم يمل وراء أبشالوم. فهرب يوآب إلى خيمة الرب وتمسك بقرون المذبح. ٢٩ ـ فأخبر الملك سليمان بأن يوآب قد هرب إلى خيمة الرب وها هو بجانب المذبح. فأرسل سليمان بناياهو بن يهوياداع قائلاً اذهب ابطش به. ٣٠ ـ فدخل بناياهو إلى خيمة الرب وقال له هكذا يقول الملك اخرج. فقال كلا ولكنني هنا أموت. فرد بناياهو الجواب على الملك قائلاً هكذا تكلم يوآب وهكذا جاوبني. ٣١ ـ فقال له الملك افعل كما تكلم وابطش به وادفنه وأزل عني وعن بيت أبي الدم الذكي الذي سفكه يوآب. . . . . . ٣٤ ـ فصعد بناياهو بن يهوياداع وبطش به وقتله فدفن في بيته في البرية.

نفس الإصحاح:

٣٦ ـ ثم أرسل الملك ودعا شمعي وقال له. ابنِ لنفسك بيتاً في أورشليم وأقم هناك ولا تخرج من هناك إلى هنا أو هنالك. ٢٧ ـ فيوم تخرج وتعبر وادي قدرون اعلمن بأنك موتاً تموت ويكون دمك على رأسك. . . . . ٤٤ ـ ثم قال الملك لشمعي أنت عرفت كل الشر الذي علمه قلبك الذي فعلته لداود أبي فليرد الرب شرك على رأسك. ٤٥ ـ والملك سليمان يبارك وكرسي داود يكون ثابتاً أمام الرب إلى الأبد. ٤٦ ـ وأمر الملك بناياهو بن يهوياداع فخرج وبطش به فمات.

الإصحاح الحادي والعشرون:

١ ـ وحدث بعد هذه الأمور أنه كان لنابوت البزرعيلي كرم في بزرعيل بجانب قصر أخآب ملك السامرة. ٢ ـ فكلم أخآب نابوت قائلاً أعطني كرمك فيكون لي بستان بُقول لأنه قريب بجانب بيتي فأعطيك عوضه كرماً أحسن منه أو إذا حسن في عينيك أعطيتك ثمنه فضة. ٣ ـ فقال نابوت حاشا لي من قبل الرب أن أعطيك ميراث آبائي. ٤ ـ فدخل أخآب بيته مكتئباً مغموماً. . . . .
٥ ـ فدخلت إليه إيزابل امرأته وقالت له لماذا روحك مكتئبة ولا تأكل خبزاً.
٦ ـ فقال لها لأني كلمت نابوت البزرعيلي وقلت له أعطني كرمك بفضة وإذا

شِئت أعطيتك كرماً عوضه فقال لا أعطيك كرمي. ٧ ـ فقالت له إيزابل..... أنا أعطيك كرم نابوت البزرعيلي. ٨ ـ ثم كتبت رسائل باسم أخآب وختمتها بخاتمه وأرسلت الرسائل إلى الشيوخ والأشراف الذين في مدينته الساكنين مع نابوت. ٩ ـ وكتبت في الرسائل تقول. نادوا بصوم واجلسوا نابوت في رأس الشعب. ١٠ ـ واجلسوا رجلين من بني بليعال تجاهه ليشهدا قائلين قد جدفت على الله وعلى الملك. ثم أخرجوه وارجموه فيموت. ١٢ ـ فنادوا بصوم وأجلسوا نابوت على رأس الشعب. ١٣ ـ وأتى رجلان من بني بليعال وجلسا تجاهه وشهد رجلا بليعال على نابوت أمام الشعب قائلين قد جدف نابوت على الله وعلى الملك. فأخرجوه خارج المدينة ورجموه بحجارة فمات..... ١٦ ـ ولما سمع أخآب أن نابوت قد مات قام أخآب لينزل إلى كرم نابوت البزرعيلي ليرثه.

سفر الملوك الثاني:

الإصحاح السادس:

٢٥ ـ وكان جوع شديد في السامرة..... ٢٨ ـ ثم قال لها الملك مالكِ. فقالت إن هذه المرأة قد قالت لي هاتي ابنك فنأكله اليوم ثم نأكل ابني غداً. ٢٩ ـ فسلقنا ابني وأكلناه ثم قلت لها في اليوم الآخر هاتي ابنك فنأكله فخبأت ابنها.

الإصحاح العاشر:

١ ـ وكان لأخآب سبعون ابناً في السامرة. فكتب ياهو رسائل إلى السامرة إلى رؤساء يزرعيل الشيوخ وإلى مربي أخآب قائلاً.... ٣ ـ انظروا الأفضل والأصلح من بني سيدكم واجعلوه على كرسي أبيه.... ٤ ـ فخافوا جداً جداً وقالوا هوذا ملكان لم يقفا أمامه فكيف نقف نحن. ٥ ـ فأرسل الذي على البيت والذي على المدينة والشيوخ والمربون إلى ياهو قائلين عبيدك نحن وكل ما قلت لنا نفعله. لا نُملّك أحداً... ٦ ـ فأرسل إليهم رسالة ثانية قائلاً إن كنتم لي وسمعتم لقولي فخذوا رؤوس الرجال بني سيدكم وتعالوا إليّ في

نحو هذا الوقت غداً يزرعيل. . . . ٧ ـ فلما وصلت الرسالة إليهم أخذوا بني الملك وقتلوا سبعين رجلاً ووضعوا رؤوسهم في سلال وأرسلوها إليه في يزرعيل. . . . . ١١ ـ وقتل ياهو كل الذين بقوا لبيت أخآب في يزرعيل وكل عظمائه ومعارفه وكهنته حتى لم يُبقِ له شارد.

هذه هي بعض حالات القتل الأبوي والأخوي المنفذة بين الأهل أو الأقارب ولكنها ليست الوحيدة المذكورة في التوراة، فمن يقرأ سفر القضاة يرى مدى الكره الذي كان يكرهه شاول لداود وكيف حاول الإيقاع به أكثر من مرة، وكيف هرب داود إلى أرض الفلسطينيين واستجار بهم فأجاروه ثم كيف حاربهم ونكل بهم بعد تسلمه الملك.

وفي سفري الملوك الأول والثاني نقرأ عن الحروب الأهلية التي دارت بين مملكتي يهوذا وإسرائيل بعد موت سليمان وانقسام المملكة إلى مملكتين.

وكالعادة نعود لنؤكد عدم ألوهية كل ما كتب في التوراة؛ لأنه لو سلمنا بتنزيل كل ما فيها لوقعنا في تناقض لا نستطيع أن نجد له تفسيرات عندما يحارب اليهود بعضهم البعض استناداً لنصوص منزلة، فأيهم في هذه الحالة شعب الله المختار وأيهم عدوه فإذا كانوا جميعاً شعب الله فما هو السبب الإلهي للقتال؟

لذلك نستنتج أن هذه الحروب كانت كسابقاتها من أجل السيطرة والسلطان ليس إلا ؛ لأنها لا تفيد الدين والإيمان بشيء بل على العكس فإنها تظهر عدم الالتزام بالدين وتعاليم الرسالة الإلهية.

الاستنتاج :

يستنتج من هذه النصوص التوراتية المبالغة في القسوة أن تنفيذها يتطلب نوعاً من القدرة النادرة على الوحشية مع انعدام مطلق للرحمة والرأفة، فلا يمكن لمن يستطيع تنفيذها أن يعرف معنى الأبوة أو الأخوة، فهو بالضرورة متصلب الفؤاد ومجرد من الحس والشعور. فكيف يمكن أن نبرّيء الوالدين اللذين يقودان ابنهما للرجم حتى الموت لمجرد معاندته لهما، وكيف يمكن أن

نتصور رجلاً يذبح إخوته السبعين على حجر واحد بمساعدة مجموعة من الطائشين والبطالين، في سبيل الملك والسلطان، وهل يعقل أن يُقتل جميع كهنة الرب في يوم واحد لأن يدهم مع داود ـ علماً بأن العبيد المأمورين رفضوا قتلهم ـ وداود أحد الأنبياء، وكذلك أبناء الملك السبعين الذين قطعت رؤوسهم وحملت في السلال، وكيف استطاعت الأم الحنونة أن تقتل ابنها وتسلقه وتأكله مع جارتها، ثم يأتي دور عبقرية زوجة أخآب التي أشهدت اثنين من قومها زوراً على نابوت البزرعيلي متهمة إياه بالتجديف فرجم حتى الموت واستطاعت بذلك أن تسهل لزوجها اغتصاب كرمه الذي رفض بيعه إياه حفاظاً على إرث آبائه.

وأخيراً كيف سهى عن بال يفتاح ما جاء في الإصحاح الحادي والعشرين من سفر صموئيل الثاني على لسان داود عندما استشار الجبوعيين قائلاً: ماذا أفعل لكم وبماذا أكفر... فأشاروا عليه بتسليمهم سبعة أشخاص من بني شاول ليصلبوهم فأعطاهم إياهم فصلبوهم على الجبل أمام الرب.. إلخ.

رغم فظاعة هذه الكفارة إلا أنها أثبتت وجود الكفارات في الدين اليهودي، فكان من الممكن أن يحتذي بها أو بمثلها يفتاح لينقذ ابنته الوحيدة العذراء التي بكت أمامه عذريتها مدة شهرين كاملين قبل قتلها وتقديمها قرباناً للرب؟

كل هذه الأحداث ليست رحمانية المصدر، وبالتأكيد فإن إدخالها في التوراة له أسبابه ودوافعه التي يمكنني أن ألخصها بسببين أحدهما يتعلق بذات اليهود والآخر بمن حولهم.

السبب الداخلي:

إن إدخال مثل هذه النصوص في التوراة يزرع في نفس القارئ اليهودي نزعة العنف والقسوة في التعامل مع الأحداث التي يصادفها في طريقه إلى تحقيق أهدافه، فالمكيافيلية القائلة بأن الغاية تبرر الوسيلة هي خير تعبير عن هذا النهج الذي يمجد قدسية الهدف المنشود ولا يلتفت إلى الوسائل المستعملة

في سبيل تحقيقه، فالهدف هو الأساس ومهما كان ثمن الوصول إليه من الأنفس والدماء فلا ضير في ذلك حتى لو كانوا من الأهل أو الأولاد أو الإخوة.

فإذا قتل الملك والنبي والقائد ابنه أو أخاه في سبيل غايته، وأدرج هذا القتل في أسفار العقيدة الدينية التي تؤسس الإيمان في نفوس العامة، والتي لا يحق المجادلة في أمورها الإلهية، فتنطبع هذه العقيدة في أذهانهم وتؤدي إلى طريق من طريقين:

الأول: خلق نزعة دموية في طباع اليهود في سبيل إعداد مقاتلين لا يتورعون عن قتل أي كان في سبيل الدفاع عن معتقداتهم ومكتسباتهم.

الثاني: تعويد اليهودي على استيعاب فكرة ارتكاب المجزرة والقتل الجماعي لوجود إسرائيل عبر العصور وفي الحاضر بين عدو يفوقها عدداً، فالحروب التقليدية تستنزف إسرائيل سكانياً، وحسب المعادلات الحسابية فإن المعركة النهائية ليست لمصلحتها من الناحية العددية إلا إذا استطاعت أن تفني العدد الأكبر من الأعداء في معاركها التي تخوضها. وهنا تبرز السياسة الإسرائيلية في عدم السماح للمسلمين امتلاك أسلحة الدمار الشامل التي يمتلكها اليهود أنفسهم لأن حيازتها من قبل عدوهم المسلم تؤدي إلى اختلال التوازن العددي في حال استعمالها ضد إسرائيل، وفي نفس الوقت سعت إسرائيل منذ زمن بعيد إلى امتلاك ترسانة نووية مبالغ فيها إذا ما قيست بالنسبة لمساحتها وعدد سكانها، مع كامل علمها وعلم العالم بما تخلفه هذه الأسلحة من قتل ودمار في العالم الإسلامي إذا ما استعملت ضده.

فمن يراجع تاريخ المعارك الإسرائيلية يجد أن إسرائيل قلما تخوض حرباً وتنهيها قبل أن ترتكب عدة مجازر ضد المدنيين العزل، وهذا النوع من القتل لا يتعلق بالقدرة العسكرية بل يتعداه إلى فكرة القضاء على الشعب المعادي بارتكاب المجازر التي تقضي على المرأة كونها الأم مولدة أعداء المستقبل وكذلك الطفل الذي سيصبح يوماً ما عدو الغد المنتظر.

السبب الخارجي:

كلنا يعلم أن إسرائيل أنشئت على أرض مغتصبة منذ البداية، لذا فهي مجتمع عسكري محكوم عليه بالقتال منذ القدم للمحافظة على مكتسباته المغتصبة، فتارة كان المسيطر وطوراً كان المضطهد المعرض للسبي والإذلال، فولدت هذه التقلبات في نفسه نوعاً من الحقد على كل ما عداه من البشر، كما يصح العكس لأن التاريخ أثبت نبذ اليهود في جميع الدول التي عاشوا فيها سابقاً، ففي سبيل استعادة مكانته وجب عليه التحضير الدائم لاحتمالات المواجهات العسكرية، وفي العمليات العسكرية تلعب الحرب النفسية دوراً بارزاً في كسب المعارك إذا استخدمت كوسيلة للتأثير على معنويات العدو بطرق ذكية، فاليهودي الذي طبع نفسه بهذا الطابع الرهيب من العنف والهمجية، يستطيع حسب رأيه أن يؤثر على معنويات أعدائه، الذين يتخاذلون أمام عنفه وجبروته وبالتالي يكون قد وفر على نفسه الكثير من أعباء ومتطلبات المعركة العسكرية.

٤ ـ سياسة التخريب والتنكيل:

تتفنن التوراة كثيراً في أساليب القتل والتدمير والتعذيب وكأن الله ﷻ نزع من قلوب أتباعها العدل والرأفة والرحمة، فتراهم لايحاربون في سبيل نشر عقيدتهم أو تثبيتها، بل يقاتلون كما نلاحظ من أجل القتل والتنكيل بالعباد ليس إلا. لذلك سنستعرض أيضاً بعض ما جاء في التوراة بهذا الخصوص.

سفر القضاة:

الإصحاح الأول:

٤ ـ فصعد يهوذا. ودفع الرب الكنعانيين والفرزيين بيدهم فضربوا منهم في بازق عشرة آلاف رجل. ٥ ـ ووجدوا أدوني بازق في بازق فحاربوه وضربوا الكنعانيين والفرزيين. ٦ ـ فهرب أدوني بازق. فتبعوه وأمسكوه وقطعوا أباهم يديه ورجليه. (أباهم جمع إبهام).

الإصحاح الثامن:

٧ ـ فقال جدعون. لذلك عندما يدفع الرب زبح وصلمناع بيدي أدرس لحمكم مع أشواك البرية بالنوارج.

الإصحاح الخامس عشر:

٤ ـ وذهب شمشون وأمسك ثلاث مئة ابن آوى وأخذ مشاعل وجعل ذنباً إلى ذنب ووضع مشعلاً بين كل ذنبين في الوسط. ٥ ـ ثم أضرم المشاعل ناراً وأطلقها بين زروع الفلسطينيين فأحرق الأكداس والزرع وكروم الزيتون.

سفر صموئيل الأول:

الإصحاح الثامن عشر:

٢٥ ـ فقال شاول هكذا تقولون لداود. ليست مسرة الملك بالمهر بل بمئة غلفة من الفلسطينيين للانتقام من أعداء الملك. وكان شاول يتفكر أن يوقع داود بيد الفلسطينيين. ٢٦ ـ فأخبر عبيده داود بهذا الكلام فحسن الكلام في عيني داود أن يصاهر الملك. ولم تكمل الأيام. ٢٧ ـ حتى قام داود وذهب هو ورجاله وقتل من الفلسطينيين مئتي رجل وأتى داود بغلفهم فأكملوها للملك لمصاهرة الملك. فأعطاه شاول ميكال ابنته امرأة. (الغلفة هي ما يختن من قضيب الذكر).

سفر صموئيل الثاني:

الإصحاح الثاني عشر:

٨ ـ وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك في حضنك وأعطيتك بيت إسرائيل ويهوذا وإن كان ذلك قليلاً كنت أزيد لك كذا وكذا. ٩ ـ لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر في عينيه. قد قتلت أوريا الحثي بالسيف وأخذت امرأته لك امرأة وإياه قتلت بسيف بني عمون. ١٠ ـ والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد لأنك احتقرتني وأخذت امرأة أوريا الحثي لتكون لك امرأة. ١١ ـ هكذا قال الرب هأنذا أقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس.

الإصحاح العشرون:

٣ ـ وجاء داود إلى بيته في أورشليم. وأخذ الملك النساء السراري العشر اللواتي تركهن لحفظ البيت وجعلهن تحت حجز وكان يعلوهن ولكن لم يدخل إليهن بل كن محبوسات إلى يوم موتهن في عيشة العزوبة.

سفر الملوك الأول:

الإصحاح الثاني عشر:

١٠ ـ.... الشعب الذين كلموك قائلين أن أباك ثقل نيرنا وأما أنت فخفف من نيرنا هكذا تقول لهم إن خنصري أغلظ من متني أبي. ١١ ـ والآن أبي حملكم نيراً ثقيلاً وأنا أزيد على نيركم. أبي أدبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقارب.

سفر الملوك الثاني:

الإصحاح الثالث:

١٨ ـ وذلك يسير في عيني الرب فيدفع موآب إلى أيديكم. ١٩ ـ فتضربون كل مدينة محصنة وكل مدينة مختارة وتقطعون كل شجرة طيبة وتطمون جميع عيون الماء وتفسدون كل حقلة جيدة بالحجارة.

سفر أشعياً:

الإصحاح الثالث عشر:

١٦ ـ وتحطم أطفالهم أمام عيونهم وتنهب بيوتهم وتُفضح نساؤهم.

لا الله يأمر ولا الشرائع تقر ولا العقل يقبل مثل هذا التنكيل بالعباد، فكيف نجده في كتاب سماوي وجميع الكتب السماوية غير التوراة تشدد على احترام النفس البشرية وعدم الاعتداء عليها إلا بمبرر شرعي، وكذلك فإن الأعراف والقوانين الدولية تتفق على احترام الإنسان والمحافظة على كامل حقوقه المادية والمعنوية، ولكن التوراة باحتوائها على هذه التطبيقات الإرهابية تدفعنا للاعتقاد بأنها حرفت لتكون نهجاً سياسياً لا دينياً؛ لأنه من غير الجائز أن يدعونا الله ﷻ إلى قطع أعضاء البشر، وحرق زروعهم، واغتصاب نسائهم، وتحطيم أطفالهم

وتأديبهم بالسياط ولدغات العقارب، كما لا يمكن أن يأمر الله بسجن النساء تنكيلاً حتى الموت، أو يأمر بطمر منابع المياه وقطع الشجر الطيب.

وأدهى حالة من هذه الحالات تتمثل في مهر ابنة شاول البالغ ٢٠٠ ـ غلفة ذكر من الفلسطينيين مما استدعى قتل مئتي رجل فلسطيني لتأمين المهر.

فهل يريد الله ﷻ أن يحصل ذلك على يد نبي من أنبيائه، أم أن المفاهيم الإرهابية اليهودية المخالفة لشرع الله هي المسؤولة؟

فيا أيها العالم الغارق في بحور الإيمان والحرية والديمقراطية، كيف تدعي نشر الحضارة المبنية على العدالة والمساواة وأنت تنفذ الأيديولوجيات الصهيونية المستمدة من التوراة؟

فهل قرأت التوراة؟

وهل اقتنعت بكل ما فيها من ضروب القتل والإرهاب؟

وهل قرأت الإنجيل والقرآن، وقارنت بين الكتب الثلاثة، وماذا وجدت في كل منها؟

فالمسلم الذي تحاربه بتهمة الإرهاب بوحي من دينه، سيتهمك بعدم الفهم والمعرفة؛ لأنك تثبت له عدم قدرتك على التمييز والإدراك، فلو كنت مدركاً لعلمت أن القرآن ومتّبعيه هم أكثر الناس حرصاً على احترام النفس البشرية ومكتسباتها المادية والمعنوية.

٥ ـ أخلاقيات توراتية:

أ ـ قبل أن ننتقل من دراسة العنف في التوراة لا بد لنا من ذكر بعض الملاحظات التي وردت في التوراة ولكنها لا تدخل تحت العناوين التي عالجناها آنفاً.

١ ـ صموئيل الأول:

الإصحاح السابع والعشرون:

١ ـ وقال داود في قلبه إني سأهلك يوماً بيد شاول فلا شيء خير لي من

أن أفلت إلى أرض الفلسطينيين. . . . . ٢ ـ فقام داود والست مئة رجل الذين معه إلى أخيش بن معوك ملك جت. ٣ ـ وأقام داود عند أخيش. . . . .
٥ ـ فقال داود لأخيش إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فليعطوني مكاناً في إحدى قرى الحقل فأسكن هناك. . . . . ٦ ـ فأعطاه أخيش في ذلك اليوم صقلع. لذلك صارت صقلع لملوك يهوذا إلى هذا اليوم.

هذا هو داود الذي قتل ٢٠٠ فلسطيني ليأتي شاول بغلفهم مهراً لابنته، ولما هرب من شاول لجأ إلى أرض الفلسطينيين فأواه ملكهم أخيش وأعطاه مكاناً في إحدى قراه فعاش فيها مع قومه، فما كان منه إلا أن استولى عليها وصارت من أملاك ملوك إسرائيل إلى اليوم حسب التوراة. ولم يكتف بذلك بل حاربهم فيما بعد وهاجم جت نفس المدينة التي أوته، وقتل منها ما قتل، ودمر ما دمر رداً للجميل الذي قدمه له الفلسطينيون عندما هرب من شاول.

الإصحاح الخامس عشر:

١ ـ وقال صموئيل لشاول. . . . ٣ ـ فالآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ما له ولا تعف عنهم بل اقتل رجلا وامرأة. طفلاً ورضيعاً. بقراً وغنماً. جملاً وحماراً. . . .

الإصحاح الثلاثون:

١ ـ ولما جاء داود ورجاله إلى صِقلع في اليوم الثالث كان العمالقة قد غزوا الجنوب وصِقلع وضربوا صقلع وأحرقوها بالنار. ٢ ـ وسبوا النساء اللواتي فيها. لم يقتلوا أحداً لا صغيراً ولا كبيراً بل ساقوهم ومضوا في طريقهم.

بالمقارنة بين اليهود أهل الكتاب وأصحاب الدين، والعماليق الملحدين الذين لا ضوابط دينية لديهم، نرى أن اليهود يقتلون الرجل والمرأة والطفل والرضيع وحتى الحيوان، بينما يعف العماليق عن التنكيل والقتل، مما يدل على أن اليهودي بطبعه وعقيدته يميل إلى العنف والإرهاب أكثر من أي شعب آخر حتى ممن لا يعبدون الله ولا يتبعون أخلاقيات الأديان السماوية.

أما العماليق ذلك الشعب الملحد الذي أثبتت نصوص التوراة أنه في ذلك الزمن كان يملك الشهامة والعفة في القتال أكثر من اليهود، كونه لم يقتل امرأة أو كبيراً أو صغيراً بعدما انتصر في حربه، بل ساق الجميع أسرى لديه دون إيذائهم مطبقاً بذلك أخلاقيات الحروب وروح الشرائع الإلهية التى لم يكن يعتنقها.

ب ـ يقول الله ﷻ في الآية ١٢٧ من سورة البقرة في القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾.

أما في التوراة فكيف بني بيت الرب؟

أخبار الأيام الأول الإصحاح الثاني والعشرين.

٢ ـ (وأمر داود بجمع الأجنبيين الذين في أرض إسرائيل وأقام نحاتين لنحت حجارة مربعة لبناء بيت الله).

أخبار الأيام الثاني الإصحاح الثاني:

١٧ ـ (وعد سليمان جميع الرجال الأجنبيين الذين في أرض إسرائيل بعد العد الذي عدهم إياه داود أبوه فوجدوا مئة وثلاثة وخمسين ألفاً وست مئة.
١٨ ـ فجعل منهم سبعين ألف حمال وثمانين ألف قطاع على الجبل وثلاثة آلاف وست مئة وكلاء لتشغيل الشعب).

الإصحاح الثالث:

١ ـ (وشرع سليمان في بناء بيت الرب ....).

إن بيت الله الحرام الذي بمكة المكرمة قام ببنائه أبو الأنبياء إبراهيم وولده إسماعيل عليه السلام إجلالاً لله ﷻ وإكراماً لبيته المحرم. فإذا كانت هذه هي شيمة إبراهيم عليه السلام في بناء بيت الله، فلماذا لم يرث هذه الشيمة أحفاده من نسل إسحاق ويكلفوا أنفسهم ببناء بيت الرب كما فعل جدهم من قبل.

فما هو فضلهم في بناء هذا البيت الذي بناه المسخَّرون من الأجانب الموجودين في إسرائيل؟

وهل تقبل عبادة في بيت بني بالظلم والتسخير؟

من يتأمل طريقة بناء الهيكل تستفيق في ذاكرته طريقة بناء الهرم الأكبر خوفو عندما سخر فرعون اليهود في بنائه، ولكن الفرق كبير بين الهيكل والهرم لأن الهيكل بيت لله والهرم مقبرة لفرعون.

على كل حال ومهما كانت الطريقة التي بُني فيها الهيكل فإن اللافت أن الإنسان غير اليهودي كان معرضاً للاضطهاد والتسخير بطريقة لا يقرها أي دين سماوي، ولا تقبل بها الأعراف البشرية، إلا إذا تعلق الأمر بالأخلاقية اليهودية المستبدة الواردة في التوراة والمتأصلة في الذهنية اليهودية على مر العصور.

ج ـ التعصب ضد الأجنبي: في التوراة نجد الكثير من النصوص العنصرية ضد الأجانب من غير اليهود لا يمكن ذكرها جميعاً لذلك سنستشهد ببعض منها علها تلقي الضوء على ما في التوراة من التعصب.

ففي أسفار التوراة نقرأ:

سفر الخروج: لكي تعلموا أن الرب يميز بين المصريين وإسرائيل.

سفر اللاوين: عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم.

سفر التثنية: وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك. لا تشفق عليهم....

لا يدخل عموني وموآبي في جماعة الرب.

إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض.

لا تأكلوا جثة ما. تعطيها للغريب الذي في أبوابك فيأكلها أو يبيعها لأجنبي.

حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح. فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك.

للأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض برباً...

سفر الأمثال: لا تفض ينابيعك إلى الخارج... لتكن لك وحدك وليس لأجانب معك.... يا ابني احفظ وصايا أبيك ولا تترك شريعة أمك... لحفظك من المرأة الشريرة من ملق لسان الأجنبية....

هذا بعض ما في التوراة من التعصب ضد الغريب والأجنبي الذي يعبر عن النفسية المتعالية والانعزالية للشعب اليهودي، التي سببت لهم جميع الويلات التي تعرضوا لها من السبيين إلى غربتهم في أوروبا وأميركا وسائر أقطار العالم، فلولا ذكاء بعض قادة اليهود المقرون بالتعصب وحب المال المستند إلى التوراة والمقونن في بروتوكولات حكماء صهيون، لما استطاعوا المحافظة على هذا الشعب إلى يومنا هذا، كون جميع شعوب العالم لا تستسيغ سياسة اليهود؛ لأن عقائدهم ممجوجة، وحججهم مرفوضة، وهم يعلمون ذلك، وهذا ما حدا بمفكريهم عبر العصور إلى التركيز على استخدام الإعلام والنفوذ المالي لتحقيق سياساتهم العنصرية.

فلو كانوا من الشعوب المنفتحة لما تعرضوا في غربتهم للإضطهاد الإسباني والنازي والبريطاني وحتى الأميركي وغيره، فمن يعود إلى وثيقة بنجامين فرانكلين المفكر والسياسي الأميركي الشهير يرى بوضوح رأي هذا الرجل في الهجرة اليهودية إلى أميركا حيث يقول: (إن هناك خطراً كبيراً على الولايات المتحدة الأميركية، إن هذا الخطر الكبير هو اليهود، إذ إنه في كل أرض حل فيها اليهود، خفضوا المستوى الأخلاقي وخفضوا درجة الاستقامة التجارية إن هم استمروا أجزاء لا تهضم، وظلوا موضعاً للاعتراض، إنهم يحاولون خنق الدول مالياً كما هي الحال مع البرتغال وإسبانياً، ولأكثر من ألف وسبعماية عام ظلوا يندبون حظهم التعيس في أنهم أخرجوا من أرضهم الأم، ولكن أيها السادة، إذا أعاد العالم المتمدن لهم فلسطين فإنهم سيجدون حالاً أسباباً ملحة لكي لا يعودوا إلى هناك (لماذا)؟ لأنهم مصاصو دماء، لا يستطيعون العيش على ماضي دماء الآخرين، إنهم لا يستطيعون العيش فيما بينهم إذ إنهم يجب أن يعيشوا على دماء المسيحيين والمسلمين وعلى دماء الشعوب التي لا تنتمي إلى شعبهم.

إنهم إذا لم يمنعوا من دخول الولايات المتحدة الأمريكية بواسطة الدستور خلالماية عام على الأقل فإنهم سيتدفقون على هذه البلاد بأعداد كبيرة وبشكل سيمكنهم من حكمها وتدميرنا بتغيير شكل حكومتنا التي من أجلها أرقنا نحن الأمريكيين دماءنا وضحينا بحياتنا، وبتغيير خصائصنا وحريتنا الشخصية.

إذا لم يُطرد اليهود خلال مئتي عام فإن أبناءنا سيعملون في الحقول لإطعامهم في حين يقبع هؤلاء في مكاتب حساباتهم يفركون أيديهم فرحاً.

إني أحذركم أيها السادة، إذا لم تطردوا اليهود إلى الأبد فإن أولادكم وأولاد أولادكم سيلعنونكم في قبوركم، إن مثلهم العليا ليست مثل الأمريكيين، وبالرغم من أنهم عاشوا بيننا لأجيال، فإن النمر لا يستطيع تغيير جلده ساعة يشاء، إنهم سيعرضون مؤسساتنا للخطر، إنهم يجب أن يطردوا عن طريق الدستور).

هؤلاء هم اليهود أتباع التوراة الذين نعرفهم نحن أكثر من أي شعب في العالم؛ لأنهم حملوا إلينا مختلف أنواع الويلات منذ إنشاء دولتهم على أرضنا إذا لم أقل منذ نشأة الإسلام. وأنا متأكد تمام التأكيد أن اليهود عبر تاريخهم الطويل لم يستطيعوا التعايش مع أي شعب من الشعوب؛ لأنهم شعب انعزالي، انتهازي، متعصب يعيش على دماء الناس وأموالهم وممتلكاتهم.

○ ○ ○ ○ ○



التلمود والعنف

يعتبر التلمود مجموعة من الكتب الوضعية تحتوي على تفسيرات توراتية تتلاءم مع شهوات اليهود ورغباتهم وأهوائهم التي لم تنص عليها التوراة بشكل يرضي أتباعها، فتطوعت أقلام أحبارهم فأوّلت الشريعة بشكل يتلاءم مع الروح العنصرية والعدوانية التي يؤمنون بها فبلغت شروحاتهم عشرات المجلدات بعدما كانت في بادئ الأمر تتناول ستة مواضيع محددة هي: الفلاحة ـ الأعياد والمواسم ـ النساء وحقوقهن في الزواج والإرث ـ النواهي والعقوبات ـ الذبائح والقرابين ـ الطهارة.

ليس للتلمود صيغة موحدة بل نشر بعدة صيغ تتوافق في مواضع وتختلف في مواضع أخرى، ولكنها بالإجمال تستند إلى نسختين أساسيتين هما نسخة أورشليم ونسخة بابل أو ما يسمى بالتلمود الفلسطيني والتلمود العراقي.

دون التلمود الأورشليمي في القرن الثالث الميلادي والبابلي في أوائل القرن السادس، لذلك خلا في نسخه القديمة من الأفكار والشروحات المعادية للإسلام إلى أن أعيد تصنيفه بعد ظهور الإسلام، فتطوع الأحبار لمحاربة الإسلام فكرياً وعقائدياً، بيد أن العرب لم يسلموا من التقريظ في بعض الشروحات التلمودية التي تظهر العداء اليهودي لهذة الأمة، التي يفترض أنها أمة سامية من نفس أصلاب أجداد اليهود، كما أن المسيحية لم تنجُ من التهجم عليها في كثير من فقراته.

العرب في التلمود:

يتناول التلمود الشعب العربي في نسخه الأصلية مسمياً إياهم صراحة في بعض المواضع أومكنياً إياهم بالإسماعيليين أوالعمالقة أو المديانيين أو بني

قيدار في أماكن أخرى، وفي كل الحالات ينعتهم بأبشع الأوصاف.

فكيف يرى التلموديون هذه الأمة العربية وبماذا يصفوها؟

العرب، الأمة المحتقرة.

من العار الزواج بعربية.

العرب يعبدون الأصنام.

العرب هم مرتكبو تسعة أعشار الجرائم في العالم.

أهون عليّ أن يحكمني إسماعيلي من أن يحكمني روماني، وأهون علي أن يحكمني روماني من أن يحكمني فارسي.

نفس روحية التوراة المعادية للشعوب، الحاقدة على الأمم يتابعها التلمود بطريقته العنصرية البعيدة كل البعد عن الصدق والواقعية، فكل من هو غير يهودي معرض للاضطهاد والاحتقار واللعن، تمشياً مع الروح العنصرية الصهيونية.

المسيحية في التلمود:

لا يعترف اليهود حتى الساعة بمجيء المسيح عليه السلام لذلك تعتبر الديانة المسيحية بنظرهم لاغية وغير موجودة، فالتلمود يقول:

إن المسيح لا يأتي ما لم ينقرض ملك الشعوب غير اليهودية.

قبل أن تضمحل شعوب العالم وتُستعبد، وقبل أن يصير اليهود أسياد مدنهم، وقبل بدء الملكوت المسيحي، ستنشب حرب طويلة تشيب لهولها الأطفال....

هذه الحرب ومعركة هرمجدون سيكون لنا عودة إليها تحت عنوان الإنجيل والعنف، في الفقرة القادمة من هذا الكتاب، نظراً لما لهذه الحرب من علاقة بالمفاهيم الإيمانية عند حكام الولايات المتحدة الأميركية من الإنجيليين الذين يعتقدون بصحتها.

ثم يتابع التلمود قائلاً:

عندما يعقد لواء الظفر النهائي يرتضي المسيح بكل الشعوب إلا أنه يرفض

المسيحيين منهم، وفي ذلك الوقت يصبح أبناء إسرائيل أغنياء كباراً لأن كنوز الشعوب تسقط بين أيديهم....

للتذكير فقط نلفت انتباهكم أن اليهود لا يقدسون شيئاً أكثر من المال، فتصوروا أن مجيء المسيح بنظرهم يكون في آخر الزمان أي قبل قيام الساعة فبماذا يحلمون؟

يحلمون بالكنوز والمال ولا شيء غير المال الذي يؤهلهم السيادة على العالم فلا فرق عندهم أكان هذا المال من معصية أو في غير مرضاة الله ما دام اسمه مالاً، وكنوزهم هذه يجمعونها من العالم عندما يأتي المسيح حسب عقيدتهم، ويعم العدل والسلام جميع أرجاء المعمورة، فكيف يكون السلام والعدل الآتي مع المسيح عليه السلام وهم لا يزالون يقتلون الشعوب وينهبون ثرواتهم، ويحلمون بكنوزهم ويغتصبون أموالهم وأرزاقهم؟.

نعود إلى التلمود:

وفي ذلك الوقت يعتنق الجميع الإيمان اليهودي، إلا أن المسيحيين لا شركة لهم في هذه النعمة، بل إنهم يُستأصلون عن وجه الأرض؛ لأنهم متحدرون من الشيطان، وعندئذ تشبع رغائب اليهود؛ لأن المسيح الذي ينتظرونه ويستعدون للقائه هو إسرائيل نفسه...

إن عبدة الأوثان الذين لا يعتنقون الدين اليهودي، والمسيحيين المؤمنين بيسوع المسيح والمسلمين التابعين للنبي محمد، هم في نظر اليهود أعداء الله وأعداء اليهود.

الشيء الغريب الذي لا أجد له تبريراً هو نفوذ اليهود في المجتمعات المسيحية، مع أنني على يقين من أن المسيحيين يعلمون كافة المخططات اليهودية المعادية لهم ولدينهم، ولكن حسب الظاهر أن الإعلام والمال اليهودي المنفق في سبيل إيصال بعض زعماء المسيحيين الطامعين بالسلطان إلى كرسي الرئاسة يجعلهم مرتهنين للسياسة الصهيونية، إضافة إلى توظيف الأموال اليهودية في أهم المفاصل الاقتصادية للمجتمعات المسيحية كعامل

تأثير على السياسات المحلية والدولية، وهذا ما عانت منه في يوم من الأيام جميع الدول الأوروبية، وبعض زعماء أميركا مثل بنجامين فرنكلين، فعمدت أوروبا طوال القرون المنصرمة إلى تقييد حركات اليهود للحد من تدخلهم المفسد في المجتمعات الأوروبية، ولكنهم استطاعوا التخلص من هذه القيود وعاودوا نشاطهم مركزين على الاستثمارات المالية والسيطرة على الصحافة وخلق الفتن والثورات الداخلية التي غالباً ما تنتج واقعاً جديداً يستفيد منه الممول اليهودي، ومن غيرهم في هذا العالم من أرباب المال والتمويل.

التلمود والجنس البشري:

أبسط ما يقال في التلمود أنه يحتقر الجنس البشري والقيم الإنسانية غير اليهودية، لذلك يصح اعتباره أكثر الوثائق تعصباً على وجه الأرض، وأكثر ما يثير استغرابي هو قبول العالم لهذا الوصف الذليل الذي يصفه به التلمود، فكيف يرى التلمود الإنسان اليهودي وغير اليهودي؟

(إن اليهود أحب إلى الله من الملائكة فالذي يصفع اليهودي كمن يصفع العناية الإلهية سواء بسواء. وهذا يفسر لنا استحقاق الوثني وغير اليهودي الموت إذا ضرب يهودياً).

يعتبر هذا الطرح من أخطر الطروحات التلمودية لأنه يبيح قتل الإنسان غير اليهودي كعمل إيماني يرضي الرب، وفي الوقت نفسه يمنع الضحية حتى من المدافعة عن نفسها ضد اعتداءات اليهود، فمن يتأمل ما يحصل اليوم في فلسطين المحتلة يتأكد من تطبيق هذه السياسة العدوانية المتمثلة بقتل الفلسطينيين وتدمير منازلهم وتدنيس حرماتهم إضافة إلى اغتصاب أرضهم، وفي الوقت نفسه يمنع عليهم مقاومة أي عمل يهودي إرهابي باعتبار ما يقوم به اليهودي عملاً شرعياً في الناحيتين السياسية والدينية، وأما الحقوق الفلسطينية فلا قيمة لها، وأرواحهم ليست أكثر من قرابين تقدّم للرب على مذابح التعصب اليهودي.

والتلمود يقول:

(كما أن الإنسان يعلو البهيمة في ترتيب المخلوقات، كذلك اليهود هم أرفع شعوب الأرض).

(إن مدافن غير اليهود تثلج صدور أبناء إسرائيل لأن اليهود وحدهم بشر، أما الشعوب الأخرى فإنهم أشكال مختلفة من الحيوانات).

(إن غير اليهود كلاب عند اليهود).

(لا يسمح بإعطاء اللحم لغير اليهودي وإلا للكلاب لأنهم أفضل من غير اليهود).

(إن بيوت غير اليهود زرائب للحيوانات).

(ارتكاب الزنا مع غير اليهوديات حلال).

(اقتل الجاحد بيدك إن استطعت). من يسفك دم الكفار بيده يقدم قرباناً مرضياً للرب (والكافر يشمل المسيحي والمسلم وجميع الشعوب غير اليهودية).

عند موت عبد من أحد الجنسين، فإننا غير ملزمين بالوقوف صفين من أجلهم، ولا تلاوة بركة التعازي، ونقول عنهم، ما كنا نقوله لإنسان فقد ثوره أو حماره (الله يعوض عن الخسارة).

وبالعودة إلى سفر التثنية نذكر بما مر معنا سابقاً بشأن استعباد الأمم:

حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح. فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك.

هذا هو التلمود مشجع العنف والإرهاب، الداعي إلى العنصرية والتفرقة الذي يكمل تحريف التوراة ويتكامل معها في سبيل إعلاء كلمة اليهود على ما عداها، إضافة إلى أنه يهين البشرية بكم هائل من التحليلات والوصايا والنصوص التي لا يرتضيها أي إنسان مهما بلغت درجة الخسة والحقارة عنده، فلا أعلم كيف يرتضي العالم بمثل هذه النصوص التي تصور البشر عبيداً وحيوانات بين أيدي اليهود، وفي نفس الوقت يتسابقون إلى أبوابهم لنيل رضاهم وإلا اهتزت عروشهم وتزلزلت أنظمة دولهم.

فيا أمم الأرض، ويا زعماء العالم، ويا زعماء أمة الإسلام، لقد حاورتم اليهود في أمور عديدة منذ عصور وعصور، ولا زلتم تحاورونهم فماذا أخذتم منهم؟

وهل توصلتم معهم إلى نتيجة ثابتة في أي حوار؟

ففي أي حوار لا تسل اليهودي ماذا تريد؟

ولكن سله ماذا بعد؟

لأنهم يريدون كل شيء، فاليهودي لا يحاورك ليثبت حقوقك وحقوقه، بل ليضع لك برنامجاً زمنياً لكيفية تخليك عن حقوقك لمصلحته، فمهما أعطاهم العالم لن يرضوا ما دام محاورهم يحتفظ بشيء ولو يسير لنفسه، فكل ما في الأرض لهم يتصرفون به كملك شخصي ولا يحق لغيرهم أن يشاركهم فيه، فما داموا يعتبرون البشر عبيداً وحيوانات في فلسفتهم وكتبهم الدينية، خلقها الله لمساعدة اليهود وخدمتهم، والحيوانات بطبيعة الحال ليس لها من هذه الدنيا إلا ما تأكل وتشرب مّنة من أصحابها، لذلك لا تسل اليهودي عن حقك أو مكتسباتك بل دعه يعطيك ما يشاء حتى يبقيك حياً، هذا إذا كنت من أصحاب هذه الدنيا الفانية.

أما إذا كنت من أصحاب الآخرة وعزة نفسك تمنعك من التذلل لهم فلا تحاورهم بل استعد لحرب شعواء بينك وبينهم.

فإن ربحتها أكرمك الله في الدنيا والآخرة؛ لأنك قدمت خدمة للإنسانية بقضائك على عدو من أعداء الله وعباده الصالحين.

وإن خسرتها يكفيك أنك تموت شهيداً مرفوع الرأس عالي الجبين.

ooooo

●

الماسونية والعنف

لا يمكن لأحد أن يدّعي معرفة الأسرار الماسونية سوى تسعة أعضاء في كل العالم يحملون السر الماسون الذي ورثوه عن آبائهم ويورثونه إلى أرشد أولادهم الذين من أصلابهم، ولولا جانيت النبيلة وعوض الخوري اللبناني الذي كان كاتم أسرار رئيس جمهورية البرازيل لما وصل إلينا أي شيء عن أهداف هذه القوة الخفية المسماة اليوم بالماسونية العالمية.

فالماسونية كما نسمع ونقرأ عنها تتعامل مع العالم بوجهين مختلفين يحمل الأول حقيقتها المكتومة، والثاني يطل علينا بشعارات الحرية والإخاء والمساواة ليوهم الناس بنبل الهدف الذي أنشئت من أجله هذه الحركة، حتى المنتسب إلى الماسونية من غير اليهود لا يمكنه أن يعرف عنها إلا الوجه الثاني المزين بشعاراتها الساترة لأهدافها الحقيقية.

فما هي الماسونية؟

ومتى أنشئت؟

وما هي أهدافها؟

أ ـ تعريف الماسونية:

من خلال القراءات حول الماسونية ارتأيت أن أنقل تعريفين قرأتهما عن هذه القوة الخفية؛ لأنني لم أتمكن من الوصول إلى فهم حقيقتها من جراء المقابلات التي أجريتها مع بعض المنتسبين إليها لعدم قناعتي بما استخلصته منهم، لذلك اعتمدت على ما قرأت في سبيل تعريفها.

في الصفحة التاسعة من كتاب الماسونية مُنشئة ملك إسرائيل لمحمد علي الزعبي يعرف الماسونية نقلاً عن العلامة الهولندي دوزي بقوله:

(جمهور عظيم من مذاهب مختلفة، يعملون لغاية واحدة، لا يعلمها إلا القليلون منهم. إلا أن الغاية هي رفع راية إسرائيل في سماء أرض كنعان).

ويعرف الدكتور صابر طعيمة في الصفحة ١١ من كتابه الماسونية ذلك العالم المجهول فيقول:

(الماسونية حركة تنظيمية خفية قام بها على الأرجح حاخامات التلمود وخاصة في مراحل الضياع السياسي الذي تعرض له يهود العهد القديم فأخذ الحاخامات على عاتقهم إقامة تنظيم يهودي يهدف إلى إقامة مملكة صهيون العالمية).

تعريفان لايقر بهما المنتسبون إلى الماسونية من الطوائف غير اليهودية لأنهم لا يعلمون من الماسونية إلا الوجه الثاني الذي يستر الأهداف الحقيقية عنهم ويظهرها بأنها منظمة إنسانية من الدرجة الأولى.

فكيف يرى شاهين بك مكاريوس ـ مؤسس محفل اللطائف ورئيسه ورئيس أعظم شرف في عدة محافل أجنبية ووطنية من الدرجة ٣٣ ـ الماسونية من خلال كتابه الآداب الماسونية:

الماسونية جمعية غرضها حمل الناس على أن يحب بعضهم بعضاً وأن يتبعوا الحكمة والفضيلة ويسعوا في طلب الترقي وموضوعها ابتغاء الفضيلة والتمسك بالآداب وممارسة عمل الخير. . . . . ولذلك دخلها الملوك العظام والعلماء الأعلام وأحبها كل صاحب فضل بين الأنام ولم يعبها إلا من يجهل كنهها أو من في عينه رَمَد أو في قلبه عَمَه فلا يحتمل رؤية نور الفضيلة.

صدق شاهين بك مكاريوس في كل ما كتب عن الماسونية التي يعرفها أو التي سُمح له بمعرفتها؛ لأنه ممنوع عليه وعلى أمثاله الاطلاع على الوجه الآخر للماسونية، لذلك كتب عنها بما زين له أن يعرف فقط.

سيسأل سائل: إذا كانت الماسونية تثير الشكوك حول أهدافها ومبادئها فما هي الحكمة من الانتساب إليها عندما يتعلق الأمر بأتباع الطوائف غير اليهودية؟

فأقول: فطر الإنسان على حب المال والسلطان، وانقسم الناس بين أهل الدنيا وأهل الآخرة، فاستغلت الماسونية نقطة الضعف هذه ودخلت منها إلى نفوس أهل الدنيا معلِّلة إياهم بما يحلمون به من وفير المال وعظيم السلطان، بعدما تصور لهم الماسونية كأنزه حركة عالمية تعنى بحقوق الإنسان وتشجيع التعليم ومساعدة الأيتام والمعوزين وجميع ما ينفع البشرية البائسة.

فأمام هذه الأهداف المعلنة لا يجد المريد ضيراً في انتسابه إلى مثل هذه الجمعية المتفرغة لأعمال الخير والإحسان، والتي يحقق بواسطتها بعض ما يصبو إليه من المكاسب الدنيوية، سيما وأن رؤساء المحافل يصورون الماسونية أمام من يريدون الإيقاع بهم على أنها حركة تضم أغلب عظماء العالم، والدخول إليها يجعل من المنتسبين أرباباً للسياسة والمال والسلطان على الصعيد العالمي، فتقع الضحية في فخ الماسونية ظناً منها أنها تنتسب إلى نادي العظماء والمشاهير، ومن الممكن أن يصل المنتسب إلى أعلى درجاتها الممنوحة لغير اليهود دون أن يعرف منها إلا ما أُريد له أن يعرف.

على أي حال لن أتوسع في هذه الفقرة أكثر من ذلك لخروجها عن مضمون الكتاب الذي نعالج، لذلك سأكتفي بهذا القدر لأنه يعطى الفكرة الأساسية عن مفهوم الماسونية وتعريفها كما رآه بعض الكتاب ممن تناولوا هذا الموضوع.

ب ـ نشأة الماسونية:

تضاربت الآراء حول نشأة الماسونية فمنهم من أعاد تأسيسها إلى أيام سليمان الحكيم ومنهم من جعلها أقدم من ذلك وآخرون قدموا وأخروا هذا التاريخ حتى بتنا لا نعرف الحقيقة الثابتة لتاريخ إنشاء هذه الجمعية، ولكن الشيء الوحيد الذي أجمع عليه الباحثون هو المهد الذي ولدت وتربت فيه هذه الحركة الخفية، فاتفقوا على أنها يهودية المولد والتربية؛ لأن جميع رموزها وأسمائها وشعاراتها معروفة تحت أسماء وأشكال يهودية وظلت هذه الحيرة تسيطر على دارسي تاريخ الماسونية طيلة قرون عديدة إلى أن تكشفت جميع

أسرارها في مطلع القرن العشرين. فأجمع معظم الباحثين بعد ذلك على أنها أسست العام ٤٣ م على يد الملك هيرودوس أكريبا بإيحاء من مستشاره آنذاك حيرام أبيود، وقد أورد سعيد الجزائري في الصفحة ٣٧ من كتابه الماسونية جدولاً بأسماء المؤسسين على الشكل التالي:

١ ـ الملك هيرودوس أكريبا	رئيساً للجمعية
٢ ـ حيرام آبيود	نائباً للرئيس
٣ ـ موآب لافي	كاتماً لسر الجمعية ـ مؤسس
٤ ـ جوهنان	عضو الجمعية المؤسس
٥ ـ أنتيبا	عضو الجمعية المؤسس
٦ ـ جاكوب أبدون	عضو الجمعية المؤسس
٧ ـ سلومون آبيرون	عضو الجمعية المؤسس
٨ ـ جواب آدونيرام	عضو الجمعية المؤسس
٩ ـ آبيا لافي	عضو الجمعية المؤسس

حرر في أورشليم بتاريخ السادس والعشرين من شهر حزيران لعام ٤٣م

وبذلك نختم بالختم الملكي ونوقع هيرودوس أكريبا

مع أنني أشك بما جاء في تحرير الوثيقة من الناحية الشكلية لجهة التاريخ المحدد بسنة ٤٣ ميلادية الذي أورده الأستاذ الجزائري؛ لأنني لست على علم بأن هيرودوس اتبع التقويم الميلادي وأرخ به، لذلك كان لا بد من إهمال التاريخ الميلادي المدون في الوثيقة حفاظاً على مصداقيتها، حتى ولو كان مطابقاً لتاريخ تأسيس الجمعية، الذي أجمع عليه الباحثون في أصل الماسونية.

وليس أدل على صحة هذا التاريخ أكثر من الأهداف التي أنشئت من أجلها هذه القوة الخفية، بعدما بدأت التعاليم المسيحية بالانتشار بين اليهود وفشل هيرودوس في القضاء عليها بالوسائل المباشرة، فكانت القوة الخفية

بأدواتها وأهدافها المعادية للمسيحية والتي عملت فيما بعد على تنظيم الحملات العدوانية والدسائس المذهبية للقضاء على الإسلام.

ج ـ أهداف الماسونية:

قبل أن أتحدث عن الأهداف التي أنشئت من أجلها هذه القوة الخفية يجب أن أركز على نقطة هامة تتمحور حول حصر حيازة وتوارث الوثائق التسع الصادرة عن الاجتماع الثاني للحركة بالمؤسسين وأبنائهم البالغين سن الواحد والعشرين من ذوي الرشد بشكل سري مع الإنذار والتهديد بالموت لكل من يفشي سرها إلى سواهم من البشر.

من هذا المبدأ تولد أولى حالات الشك حول أهداف القوة الخفية التي ظلت مجهولة من العالم غير اليهودي قرابة ألفي سنة، إلى أن جاء عوض الخوري اللبناني الأصل الذي كان يعمل كاتما لأسرار رئيس جمهورية البرازيل عندما تسنى له الإطلاع عليها ونشرها فيما بعد في كتابه تبديد الظلام أو أصل الماسونية.

فبعد نشركتاب تبديد الظلام اتضحت الأهداف التي أنشئت من أجلها هذه القوة الخفية وتبينت دوافعها وغاياتها المعادية بالدرجة الأولى للدين المسيحي الذي اعتبره المؤسسون قوة دنيوية شيطانية منظمة.

وبالرغم من قراءتي عن الفري ماسون أو البنائين الأحرار ومبادئ الحرية والمساواة والإخاء ومساعدة المحتاجين والأرامل وإنشاء المدارس والجامعات وغيرها من الأهداف النبيلة المستعملة كطعم في صنارة الماسونية لاصطياد العميان كما يسمى المنتسبون إلى الماسونية من باقي الشعوب المنتمية إلى مختلف الأديان غير اليهودية، إلا أنني استخلصت عدم صدقية هذه الأهداف من شهادات للماسون أنفسهم، حيث يقول راغون: الماسون الفقراء في جمعيتنا بمنزلة قراح أو برص شنيع المنظر كريه المخبر.

ويقول بازو: الذنب على المحافل الماسونية التي تدرج في سلك أعضائها رجالاً محتاجين بدلاً من ناس أشراف ذوي مقدرة مالية.

لذا سأعرض عن التوسع في شرح أهداف الوجه المموه الذي يتكلم عن الفري ماسون نظراً لعدم واقعيته فيما يتعلق بأهداف الماسونية مركزاً على أهدافها الخفية وليس زينتها الخارجية.

في أول جلسة من جلسات المؤسسين التسعة اتهم هيرودوس المسيحيين بمناوءة اليهود على السلطتين الزمنية والدينية، مدعياً سعيهم لسلب الملك من اليهود وإبادة الدين اليهودي الذي لا يعترف هيرودوس بغيره من الأديان على وجه الأرض حاضراً ومستقبلاً.

وبعد قسم اليمين واكتمال الشكليات قال هيرودوس ـ الآن قد تأسست جمعيتنا ـ (القوة الخفية) لتبقى قوتها وأعمالها ومبادؤها وغايتها خفية إلى الأبد. . . . الآن ليستعد كل منا للعمل، وما العمل يا إخواني الأعزاء إلا قتلنا ناشري تعاليم يسوع وكل مبشر بها كيفما استطعنا. . . . وقال بأن أباه وجدّه كانا يعطيان أوامر سرية بقتل كل من يُستطاع قتله من تابعي يسوع وتعاليمه.

ليس أدل من هذا التصريح على الهدف الأولي الذي أنشئت من أجله الماسونية والذي يدعو إلى قتل أتباع يسوع المسيح.

وهذا الهدف لم يبق الهدف الوحيد للجمعية بل اتسع نطاقه فيما بعد ليشمل النبي محمد ﷺ وأتباعه ودينه، مما يستدل أنها لم تؤسس لتناهض المسيحية فقط بل لتناهض فكرة الأديان، لذلك شملت بعدائيتها جميع الأديان السماوية خدمة لليهودية التي أسست لتعمل من أجلها.

ففي الإسلام كتب الماسوني لافي موسى لافي:

في أواخر الجيل السادس للدجال يسوع. . . ظهر دجال آخر ادعى التنبؤ بالوحي. . . تكاثر عدد أتباع محمد يوماً فيوماً كأتباع يسوع. . . . فالواجب الديني والاجتماعي والوطني يقضي علينا بمناوءة تعاليمه بكل ما في الوضع كما نناوئ تعاليم الدجال يسوع الذي هو علة إنشاء جمعيتنا.

كما سنورد أربعة أبيات من الشعر قيل إنها للماسوني الشيخ إبراهيم اليازجي ونسبها آخرون للماسوني يوسف شاهين مكاريوس:

الخير كل الخير في هدم الجوامع والكنائس
والشر كل الشر ما بين العمائم والقلانس
ما هم رجال الله فيكم بل هم القوم الأبالس
يمشون بين ظهوركم تحت القلانس والطيالس

هذه هي الماسونية التي تنتشر في العالمين المسيحي والإسلامي بمبادئها الهدامة المعادية لأهم مكونات الإنسان الجوهرية المتمثلة بالإيمان والعبادة، فضلاً عن مخاطرها السياسية الرامية إلى تدمير فكرة الدولة المرتكزة على المفهوم التشريعي والأخلاقي المستوحى من هاتين الديانتين، لذلك طالت حرب الماسونية ضد الإكليروس ورجال الدين في أوروبا، والتي لا يمكن أن تنتهي إلا بانتصارهم أو انكسارهم، كما ورد في النشرة الرسمية للشرق الأعظم الصادر في فرنسا عام ١٨٥٦ «نحن الماسون لا يمكننا أن نتوقف عن الحرب بيننا وبين الأديان؛ لأنه لا مناص من ظفرها أو ظفرنا، ولا بد من موتها أو موتنا. ولن نرتاح إلا بعد إقفال جميع المعابد».

هذا هو منشأ الماسونية وممارساتها الأولية التي لم تستكن يوماً عن محاربة الأديان، فسجلت بعض النجاحات ضد الكرسي الرسولي، وبعضها الآخر ضد الدين الإسلامي، وتمثلت أخطر أعمال الماسونية بزرع فكرة الحروب الصليبية التي دارت بين المسيحيين والمسلمين لفترة طويلة استُنزفت خلالها الأمَّتان، وبالرغم من عدم تحقيق أهدافها المرجوة لمصلحة الأمة اليهودية إلا أنها لم تستكن بل عملت على تغيير استراتيجيتها بضرب الأمتين من الداخل، فشجعت الحركات الإيديولوجية ووضعت بتصرفها المال والمفكرين ودعمتها بالسلاح ووسائل القتال.

كان عهد الملكيات المبنية على أسس غير دينية يسود العالم في تلك الحقبة الزمنية، فانتهجت الماسونية سياسات جديدة لتنفيذ أهدافها فاستعملت شعارها الجديد المنادي بالأخوة والحرية والمساواة فلاقى شعارها هذا الأرض الخصبة في عقول الشعوب الرازحة تحت نير الديكتاتوريات الملكية التي كانت مسيطرة آنذاك خاصة في قارة أوروبا.

أدى التدخل اليهودي السافر في شؤون الدول الأوروبية إلى قيام نزعة عامة ضدهم في جميع دول أوروبا دون استثناء فتعرضوا للطرد والملاحقة والقتل وحتى الإبادة الجماعية في بعض منها، ولكنهم كعادتهم لم يستكينوا أو يسلموا بواقعهم كشعب منبوذ فاستعملوا نفوذهم المادي والسياسي وأعادوا خلط الأوراق على طريقتهم الدموية وهذه المرة بصورة أكثر حقداً وعنفاً ضد العالم بأسره.

فباسم الحرية والديمقراطية الماسونية، اندلعت الثورة الفرنسية، وكذلك الثورة البلشيفية، والحربين العالميتين اللتين غيرتا معالم الحضارة الكونية في القرن العشرين فكان نصيبهم منها حصة الأسد هذه المرة.

أقاموا أولا دولة إسرائيل على أرض فلسطين، حلمهم القديم الذي طالما عملوا من أجل تحقيقه.

وساهموا في تدمير الاقتصاد العالمي الذي يلزمه المال لإعادة بنائه وتقويمه وهم أرباب المال في العالم، فبذلك يكونوا قد وظفوا أموالهم في استثمارات إعادة بناء ما هدمته الحرب وسيطروا على جميع المقدرات الاقتصادية للدول المنهكة التي يتواجدون فيها ويسيطرون على رساميلها.

وليس أدل على صحة هذه النظرية سوى محاولاتهم السيطرة على الاقتصاد الأميركي الذي بدأ بالازدهار بعد الحرب العالمية الثانية، وليثبتوا للعالم قدرتهم وفعاليتهم في المضمار الاقتصادي، فقد صمموا الدولار الأميركي من قبل بطريقة ذكية تصوره وكأنه يرتبط باليهود أكثر من ارتباطه بالأميركيين فمن يحاول التدقيق في الرسومات المطبوعة على الدولار الأميركي يجد فيها الدليل القاطع على سيطرة الفكر اليهودي على السياسة الاقتصادية للولايات المتحدة الأميركية.

كتب عادل شهاب في جريدة الديار في عددها الصادر بتاريخ ١٥ حزيران ١٩٩٧ مقالاً تحت عنوان: «الماسونية منظمة يهودية سرية للهيمنة على العالم»

تناول فيه موضوع الرسومات الموجودة على الدولار الأميركي، الذي سنقوم باقتباس بعض المقاطع منه والتعليق عليها.

على ظاهر ورقة الدولار الأميركي من فئة الدولار الواحد، تظهر دائرتان إلى اليمين وإلى اليسار من الورقة.

في الدائرة اليسرى نجد صورة هرم ضمن الدائرة، رأسه الظاهر في الصورة على شكل مثلث منفصل عن بقية الهرم، وتنبعث من المثلث إشعاعات وفي وسطه عين هي عين «المهندس الأعظم للكون» والمعروف أن عبارة المهندس الأعظم للكون هي عبارة ماسونية بامتياز.

أما بقية الهرم فمقسم بخطوط أفقية تؤلف أربعة عشر سطراً ـ أو صفاً ـ كتب عليها حسب تسلسل الأسطر في النسخة الأصلية الموجودة في مؤسسة فرانكلين لفيلادلفيا ـ بنسلفانيا أو في الموسوعة البريطانية ما يلي:

١ ـ رمز عائلة روتشفيلد رجل المال اليهودي الشهير.

٢ ـ مجلس الثلاثة عشر وهو المجلس الأعلى لحكماء صهيون.

٣ ـ مجلس الثلاثة والثلاثون وهو المجلس المنتخب من قبل نادي الثلاثمائة.

٤ ـ نادي الثلاثمائة.

٥ ـ بني برث دلالة على محفل بني برث اليهودي.

٦ ـ محفل الشرق الأعظم.

٧ ـ الشيوعية. التي تحاول تدمير الروابط القومية باستثناء الروابط اليهودية.

٨ ـ نظام المحافل الإيكوسية.

٩ ـ نظام محافل يورك.

١٠ ـ أندية الروتاري والليونز وجمعية الشبان المسيحيين.

١١ ـ محافل المراتب الزرقاء.

١٢ ـ الماسونيون بدون قناع.

١٣ ـ المنظمات الإنسانية.

١٤ ـ أول أيار ١٧٧٦ تاريخ تأسيس سلطة النورانيين ونظامها «النظام العالمي الجديد».

وفي أسفل الدائرة كتب خطتنا اكتملت.

في الدائرة اليمنى يظهر الشمعدان اليهودي السباعي الأصابع.

كما تظهر النجمة السداسية المشعة المعروفة بنجمة يهوذا.

أول ما يلفت الانتباه هو صورة الهرم على الدولار الأميركي، الذي لا يرتبط بأي مغزى حضاري أو تاريخي بالنسبة للأميركيين، ولكن بالنسبة لليهود فإنه يرتبط بتاريخهم القديم في أرض مصر، حيث سخرهم الفراعنة في بناء الهرم الأكبر، وكثيراً ما تسمعهم يصفونه بهرم اليهود، فاختيار الهرم كرمز لبلاد أميركية ليس في محله من الناحية المنطقية، بل إنه يثبت بما لا يقبل الشك أن اليهود هم من صمم الدولار بوحي من عقيدتهم الرامية للسيطرة على الاقتصاد الأميركي ومن بعده الاقتصاد العالمي، المرتبط اليوم فعلياً بهذا الدولار.

واللافت أيضاً من هذا التصميم هو سيطرة الفكر الماسوني على السياسة المالية والاقتصادية للولايات المتحدة الأميركية، لقناعتهم الكلية بأهمية الاقتصاد الذي اندلعت بسببه الحرب العالمية الثانية، فمن يستطيع أن يسيطر على اقتصاد بلد ما، يستطيع أن يسيطر على جميع مقوماته السياسية والعسكرية وحتى الفكرية، رحم الله بنجامين فرنكلين الذي رأى منذ زمن بعيد ما لم يره معاصرونا من الرؤساء الأميركيين.

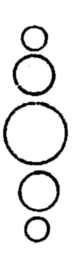
حرب على الأديان السماوية، تشهير بالأنبياء، عدة حملات صليبة، حربان عالميتان، عدة ثورات، نشر للفساد، سيطرة على الاقتصاد، وغير ذلك الكثير من خيرات القوة الخفية على هذا العالم.

فهل هذه هي الديمقراطية الصهيونية والأميركية والبريطانية والحليفة التى تقود الحرب على الإسلام لإحلال السلام والعدالة وترسيخ مفاهيم الإسلام حسب الأساليب الماسونية الساعية إلى تحقيق الخير للبشرية على طريقتها التدميرية؟.

أم أنها عين الإرهاب الذي يدمر المجتمعات البشرية بنظريته المسماة «الفوضى الخلاقة» بجميع مقوماتها المادية والمعنوية تحقيقاً لمبادئ وأهداف الماسونية وليدة اليهودية؟

سأترك الجواب للمستعمرين المنقادين تحت نير الماسونية علهم يستطيعون في يوم من الأيام التحرر من هذا النير وقيوده العنصرية، ويعودون إلى ضمائرهم فيكفوا عن الإساءة إلى الإسلام والمسلمين خدمة للعنصرية الصهيونية، كما أنصح جميع المؤمنين بأديانهم وأوطانهم أن يقرأوا ما كتب عن الماسونية حتى يستطيعوا أن يدرأوا عنهم وعن أبنائهم أخطار مخططاتها المدمرة لكل القيم الدينية والأخلاقية.





الصهيونية والعنف

تعتبر الحركة الصهيونية كالماسونية منظمة عالمية تعمل في سبيل إعلاء شأن الديانة اليهودية، ولكنها تمارس عملها بطرق وأدوات مختلفة وأهداف أكثر وضوحاً وعلانية من أهداف الماسونية.

من أهم مبادئ وأهداف الصهيونية إنشاء وطن قومي لليهود على أرض فلسطين تماماً كما قرأنا في التوراة والتلمود والأسرار الماسونية، وكذلك إعادة بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى.

ففي كتاب بروتوكولات حكماء صهيون للأستاذ عجاج نويهض نقرأ حواراً جرى سنة ١٩١٧ بين البابا بنديكت الخامس عشر والصهيوني سوكولوف، فلما سأله قداسة البابا عن مقاصد الصهيونية، أجاب:

مخططنا مزدوج. فهو يرمي أولاً إلى إيجاد مركز روحي ثقافي لليهود في فلسطين، وثانياً إلى إنشاء وطن قومي لليهود المضطهدين.

فالمقصد الأولي هو المركز الروحي ثم يليه الوطن القومي، لذلك لا نلام إذا شعرنا بالخطر الداهم على المقدسات المسيحية والإسلامية في قدسنا الشريف، ففكرة الحرب العقائدية الصهيونية هي الهدف الأساسي في جميع حروبها، والاستيلاء على القدس الشريف أمر تعمل له الصهيونية منذ نشأتها، فاحتلال القدس الشريف وحريق المسجد الأقصى الشهير ومحاصرته الدائمة وتهديده بالقصف والتدمير، وشراء أملاك الكنيسة الأرثوذكسية كلها تصب في مصب واحد هدفه تهويد القدس وإزالة المقدسات الدينية غير اليهودية منها.

وبما أن بحثنا يدور حول العنف والإرهاب المدون في بروتوكولات حكماء صهيون، فلن أتطرق لتعريف الصهيونية ونشأتها وحيثياتها بل سأركز

على البروتوكولات وما تحتويه من المخططات المرسومة للسيطرة على العالم بشتى الوسائل العسكرية والسياسية والاقتصادية.

فما هي بروتوكولات حكماء صهيون وماذا تحوي؟

في سنة ١٨٩٧ اجتمع في مدينة بازل في سويسرا رجال مال واقتصاد يهود ووضعوا بروتوكولاتهم الأربعة والعشرين السرية للسيطرة على العالم والقضاء على الكرسي البابوي والدين الإسلامي بمهلة زمنية لا تتعدى المئة عام من تاريخ وضعها وسميت بروتوكولاتهم آنذاك - بروتوكولات حكماء صهيون.

تتألف البروتوكولات من أربعة وعشرين بروتوكولاً مشتملة على كافة المخططات الدينية والمالية والسياسية والفكرية الواجب اتباعها لإحكام قبضة الصهاينة على مقدرات العالم الاقتصادية بعد الفراغ من تدمير الأديان ونشر الفساد في المجتمعات غير اليهودية.

لذا سنقتبس منها بعض النصوص المعبرة عن سياسة الصهيونية ومخططاتها الهدامة في شتى المجالات:

أ - الصهيونية والأديان:

البروتوكول الخامس:

لايضاهينا أحد إلا الجزويت، لكننا نحن ابتدعنا من الطرق ما يصلح لإسقاط هيبتهم.

البروتوكول الرابع عشر:

متى ما ولجنا أبواب مملكتنا، لا يليق بنا أن يكون فيها دين آخر غير ديننا، وهو دين الله الواحد المرتبط به مصيرنا، من حيث كوننا الشعب المختار، وبواسطته ارتبط مصير العالم بمصيرنا. فيجب علينا أن نكنس جميع الأديان الأخرى على اختلاف صورها. فإذا أدى هذا إلى ظهور الملحدين والإلحاد، على ما نرى اليوم، فذلك لن ينال من آرائنا شيئاً، والدور دور انتقال، بل يكون الإلحاد بمثابة إنذار للأقوام التي تقبل على استماع تبشيرنا بدين موسى.

البروتوكول السابع عشر:

.... وبتنا الآن لا يفصلنا عن رؤية الدين المسيحي قد انهار إنهياراً تاماً سوى بضع سنين.

.... أما ما يتعلق بالأديان الأخرى، فالصعوبة التي سنلاقيها في تعاملنا معها، تكون أقل، ولكن من السابق لأوانه أن نتكلم على هذا الأمر. وسنضيق الحلقة على الكهنوتية ورجال الكهنوت، لنجعل نفوذهم ينكمش ويرجع القهقرى بالقياس إلى ما كان لهم من فلاح في الماضي.

.... ومتى حان الوقت لهدم البلاط البابوي، ستظهر إصبع يد خفية تشير إلى الأمام بِهَيًّا نحو ذلك البلاط. فإذا ما انقضّت الأمم عليه، سنخف ونسارع إليه تحت ستار الدفاع عنه، رغبة في حجب الدماء. وبهذه اللعبة، سنوغل أيدينا في أحشائه ولن نخرجها بعد، حتى تتبدد قواه ولا حراك به. ثم يكون ملك اليهود هو البابا الحقيقي للمسكونة كلها، وبطريرك كنيسة دولية عالمية.

لا تحتاج هذه النصوص المنقولة عن بروتوكولات حكماء صهيون إلى أي شرح أو تحليل لأنها صيغت بطريقة واضحة الأهداف والمرامي خاصة فيما يتعلق بعدائها المطلق للدين المسيحي والكرسي البابوي وباقي الأديان جميعاً، كما أنها لا تخفي هدفها في نشر الإلحاد كنقطة تحول على طريق التبشير بالدين اليهودي وحده دون باقي الأديان.

ب ـ الصهيونية والعنصرية:

البروتوكول التاسع:

... وذلك لأن اللاسامية لا نراها إلا ضرورية للاستفادة منها في رعاية إخواننا المستضعفين.

وأما شباب الغوييم (الأغراب) فقد فتنّاهم في عقولهم ودوخنا رؤوسهم، وأفسدناهم، بتربيتنا إياهم على المبادئ والنظريات التي نعلم أنها فاسدة، مع أننا نحن الذين لقنوهم ما تربوا عليه.

البروتوكول الخامس عشر:

وما بنا من حاجة لنحسب ما تحمله الغوييم (الأغراب) من ضحايا لحفظ بزرة حيوانية والاحتفاظ بسلالته.

تنظر البروتوكولات إلى العالم نظرة عنصرية فوقية فكثيراً ما نجد كلمتي غوييم و دهماء للدلالة على الشعوب غير اليهودية، ففي جميع البروتوكولات تُجرَّد الشعوب من الفهم والمنطق وتنعت في بعضها بالحيوانات، دلالة على انحطاط الأصول البشرية غير اليهودية.

هذا ما نجده عند موسى هس الذي عرف الشخصية اليهودية على أساس عنصري بيولوجي مميزاً بين العنصرين الآري والسامي، وكثيراً ما كان هرتزل نفسه يردد عبارة «الجنس اليهودي» كعامل تمييز عن باقي الأجناس البشرية.

فالسامية بحد ذاتها والاعتداد بها نوع من أنواع العنصرية لأنه يفضل أبناء سام بن نوح على غيرهم من الأمم المتحدرة من حام ويافث لسبب واحد فقط، يتمثل بكون اليهود يعودون بأصولهم إلى سام بن نوح.

كما يعتبر عنصرياً تشبيه اليهود للأمم غير اليهودية بالحيوانات ومعاملتهم معاملة السيد للعبد استناداً لنصوص مكتوبة في التوراة والتلمود والبروتوكولات.

بالنتيجة فالصهيونية كالماسونية واليهودية تطغى عليها المفاهيم العنصرية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بكافة المفاهيم الدينية والعقائدية المستوحاة من كتبها الدينية.

ج ـ الصهيونية والإرهاب:

البروتوكول الثامن:

والذين يختارون للمناصب ذات المسؤولية في حكومتنا من إخواننا اليهود... فإنهم سيوضعون في خلال هذه الفترة في عهدة أشخاص من الغوييم مؤقتاً. وهؤلاء الأشخاص هم من الذين اشتدت شبهات الناس بهم، فإذا ما تقاعصوا في تنفيذ التعليمات التي تصدر إليهم، فهم إما سيلقون الجزاء والعقاب مُتَّهمين، وإما سيغيبون عن الوجود بالمرة. والغرض من ذلك كله أنهم سيدافعون عن مصالحنا حتى النفس الأخير، دفاعاً عن أنفسهم.

البروتوكول التاسع:

إننا سوف نمسك الثور من قرنيه، وحينئذ نكون قد دمرنا في حقيقة الأمر كل القوى الحاكمة إلا قوتنا..... ومنا قد انطلقت تيارات الرعب الذي دارت دوائره بالناس... وعندئذ سنربط كل العواصم بالسكك الحديد وسنحفر الأنفاق تحت الأرض ومن هذه الأنفاق الخفية سنفجر وننسف كل مدن العالم ومعها كل أنظمتها وسجلاتها.

البروتوكول العاشر: ......

أليست الاضطرابات هي التي ستحطم البلاد نهائياً. ولكي نصل إلى هذه النتائج سندبر انتخاب رؤساء ممن تكون أخلاقهم ملوثة بفضيحة من أثر صفقة سوداء مريبة؛ لأن رئيساً من هذا النوع سيكون منفذاً وفياً لأغراضنا لأنه سيخشى التشهير...... وحين يصرخ الناس الذين مزقتهم الخلافات وتعذبوا تحت إفلاس وخيبة حكامهم........ قائلين اخلعوهم وأعطونا حاكماً عالمياً واحداً يستطيع أن يوحدنا ويحطم كل أسباب الخلاف ـ التي هي القوميات والأديان والديون الدولية ـ...... فلا يجد الأمميون غير اليهود لمساعدتهم على الخروج من متاعبهم وآلامهم، فيلجأوا إلى الاحتماء بأموالنا وسلطتنا الكاملة.

سوف ندمر الحياة الأسرية بين الأممين.....

لا بد من وسيلة لشغل بال الأمم.... فتسوء العلاقات بين الحكومات ورعاياها.... حتى تُستنزَف قوى الإنسانية، وتهلكها الانقسامات، وتفشو بينها الكراهات، والمكائد والحسد، كما تفشو المجاعات ونشر جراثيم الأمراض عمداً، فيستسلم الغوييم.....

البروتوكول الخامس عشر:

متى أنجزنا إقامة دولتنا..... سنعنى بعد ذلك بمكافحة أي شئ من حياكة المؤامرات علينا، وسنذبح بلا رحمة الذين يحملون السلاح ليقاوموا الانضواء إلى مملكتنا. وكل نوع من المنظمات السرية سيكون عقابه الموت.

إن الوصول إلى النجاح ولو على أشلاء الضحايا هو واجب كل حكومة؛

لأننا لانهتم إطلاقا بالضحايا من نسل هؤلاء البهائم من الأمميين «غير اليهود».

البروتوكول السابع عشر:

سنجعل من التجسس عملاً غير شائن، عملاً محموداً، ونعامل كل مقدمي المعلومات الكاذبة معاملة رهيبة. . . . ونسخر عملاء ووكلاء من ذوي المراكز العليا ليعملوا بكل طاقاتهم على تلويث غيرهم بكل الأساليب الهدامة.

البروتوكول الثاني والعشرون:

من المسلم أننا لن نفشل، وبيدنا ما بيدنا من كنوز المال، لإقامة الحجة على أن الشر الذي ارتكبناه عدة قرون كان عونا للوصول إلى الخير والرفاهية.

إن السلطة الحقة لا تستسلم لأي حق، حتى حق الله، ولن يجرؤ أحد على الاقتراب منها كي يسلبها ولو طرفاً من مقدرتها.

قتل، تدمير، ضحايا، أشلاء، ذبح، رعب، إرهاب، جراثيم أمراض، تلويث، عملاء، تجسس، فضائح، إفلاس، صفقات مريبة، وغيرها وغيرها من المصطلحات الإرهابية تتزاحم فيما بينها لتملأ صفحات بروتوكولات حكماء صهيون، تلك البروتوكولات التي صاغها حكماء صهيون لتكون دستورهم في التعاطي السياسي والديني والاقتصادي فيما بينهم وبين من يسمونهم بالأمميين.

فأين الحكمة، وأين العقل والمنطق، في حكماء قادهم الصلف والتكبر إلى امتهان كرامة العالم بهذه الطريقة البربرية المنكرة المنافية لأبسط مفاهيم القيم الإنسانية والأخلاقية، كما قادهم إلى نوع من الإعماء فتطاولوا على العزة الإلهية وتكبروا عليها عندما يقولون إن السلطة الحقة لا تستسلم لأي حق، حتى حق الله.

الإرهاب كل الإرهاب في بروتوكولات حكماء صهيون، شاء العالم أن يعترف أو ينكر، فلست أنا من وضع لهم هذه البروتوكولات، ولا أمتي أو أمة أخرى، فهي صنيعتهم، وتعبر عن سياساتهم وقناعاتهم وعقائدهم الدينية المستمدة من التوراة والتلمود، وكل حرف كتب فيها دُرس بعناية ليُؤسس لمنهجية سياسية عملية تلتزم الصهيونية بتنفيذها وصولاً إلى هدفها المنشود الداعي إلى السيطرة الكاملة على حكومات العالم واقتصاده.

الإنجيل والعنف

لا نجد في تعاليم المسيح عليه السلام ولا في الأناجيل الأربعة أي أثر لتعاليم تدعو إلى العنف أو تشير إليه سوى الطريقة التي أخرج بها المسيح عليه السلام الباعة والصيارفة من الهيكل، رغم أنها تعتبر طريقة طبيعية لأهمية المكان الذي حصلت فيه كونه بيت رئيسي من بيوت الله.

رغم روحانية تعاليم المسيح عليه السلام، لم يخلُ التاريخ المسيحي من بعض الحروب الدينية، بينهم وبين اليهود من جهة، وبينهم وبين المسلمين من جهة أخرى، بحيث حمل بعضها شعارات دينية كالحروب الصليبية على الشرق المسلم.

فمن أين جاءت فكرة هذه الحروب؟

ولماذا يحارب الغرب المسيحي العالم الإسلامي؟

وما هي الدوافع العقائدية لهذه الحروب؟

يقول السيد المسيح في إنجيل متى:

١٧ ـ لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل. ١٨ ـ فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل.

مع أن المسيح عليه السلام نقض الناموس لضرورات اجتماعية وأخلاقية في أمور الطلاق، ومقاومة الشر، وبغض العدو، إلا أنني أؤمن بتمسكه بما جاء في حقيقة التوراة أو العهد القديم عند المسيحيين وأكمل رسالتها المنزلة على موسى عليه السلام، وليس الرسالة التي دونها اليهود بأيديهم ونسبوها إلى موسى عليه السلام، وهذا الإيمان هو سبب الإشكالية الدينية التي نعاني منها اليوم، فلو التزم

المسيحيون بالتوراة التي أنزلت على موسى كما دعا المسيح عليه السلام **لاختلف** الأمر ولكنا التقينا وإياهم على هذا الإيمان المفروض من الله عز وجل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين أيضاً في القرآن الكريم والذي تطرقنا إليه في فصل سابق.

فالمشكلة بحد ذاتها بدأت أول ما بدأت عند اليهود أنفسهم ثم تفرعت فيما بعد لتطال المسيحيين أثناء تدوين الكتاب المقدس:

المشكلة اليهودية الذاتية.

المشكلة مع المسيحيين.

المشكلة اليهودية الذاتية:

كنا قد أوردنا نبذة عن الانقسام الذي حصل في المملكة اليهودية وأدى إلى عدة حروب بين مملكتي يهوذا وإسرائيل، وبالطبع فإن الانقسام المذهبي في أي دين من الأديان يولد حالة من الاجتهاد الديني عند كل فريق من الأفرقاء لإضفاء الشرعية الدينية على حق المُلك والسلطان، ولتبرير الأعمال العسكرية المنفذة وإعطائها الصفة الشرعية المستندة إلى التكليف الإلهي، وفي هذه الحالة تظهر التباينات في تطبيق هذا التكليف بين فريق وآخر، وتكثر التدوينات المتناقضة، فتضيع الحقيقة خاصة أمام الأجيال اللاحقة، التي يصعب عليها الحكم بين الصحيح والمحرف.

وكون التوراة لم تدون جميعها في عهد موسى عليه السلام، بل اشتملت على نصوص تاريخية أرخت جميعها بعد موته، لذلك يصبح من المؤكد أنها تعرضت لإضافات متناقضة يراها الدارس للتوراة ظاهرة في عدة أسفار منها.

وبما أن التوراة ذاتها تقر بالتحريف الحاصل عليها كما أسلفنا وفصلنا تحت عنوان اليهود وتحريف التوراة، فقد أصبح من الواجب على أي مؤمن مهما كان دينه أن يتنبه إلى هذا التحريف وبالتالي عدم تطبيق ما يتناقض مع دينه من نصوصها، هذا إذا سلمنا جدلاً باستقلالية الأديان السماوية عن بعضها البعض، برغم عدم قناعتي بهذه الاستقلالية لأن رسالات موسى وعيسى ومحمد

وجميع الأنبياء ﷺ هي في أساس التكليف رسالة أحادية المصدر والهدف، لأنها جميعها تدعو إلى عبادة الله الواحد.

المشكلة مع المسيحيين:

لا يعترف اليهود حتى اليوم بمجيء المسيح ﷺ، وبالتالي فإن الدين المسيحي غير موجود في القاموس اليهودي، فعندما أتى المسيح لم يصدقه اليهود بل حاربوه ورموه بمختلف التهم وصلبوه حسب ظنهم، ولما لم يستطيعوا وقف نشر تعاليمه أسسوا القوة الخفية المتمثلة اليوم بالماسونية لمحاربة معتنقي المسيحية والقضاء عليهم، فلم يتمكنوا من ذلك، وبعد توالي الأحداث أصبحوا ألد أعداء الكرسي الرسولي، وأصبح مركز البابوية في روما هدفاً أساسياً يقتضي محاربته كما نجد في جميع مدوناتهم الماسونية والتلمودية وكذلك في بروتوكولات حكماء صهيون.

لم يبق هذا العداء عداءً فكرياً عقائدياً فحسب، بل تعداه إلى أبعد من ذلك إنطلاقاً من مهد المسيحية في فلسطين حيث اضطُهد المسيحيون على أيدي اليهود وانتقل هذا العداء إلى أوروبا فكان الاضطهاد الديني متبادلاً بين الطرفين، مما أدى إلى صدامات عسكرية خلفت عدداً كبيراً من الضحايا من الطرفين طيلة عدة قرون، وأخيراً كتبت الغلبة للمسيحيين لفترة طويلة من الزمن.

ظل الحال على ما هو عليه حتى ظهرت حركة الإصلاح الديني بعد حروب أوروبية طاحنة، أدخلت الناس في آتون الموت والخوف والدمار، ففسر المؤمنون هذه الفوضى المدمرة وكأنها تباشير من علامات نهاية العالم، فاستغل اليهود هذه الظاهرة وشجعوها وراحوا يروجون في ظلها تأويل وتفسير بعض التنبوءات التوراتية التي تتحدث عن نهاية العالم وقيام الساعة، فلامست هذه التفاسير أحاسيس الناس الرازحين تحت وطأة الخوف من الموت، وأخذوا يتلقفونها عن حسن نية وصلاح إيمان، ومن هنا بدأ عهد جديد من التعاطي الشعبي مع العهد القديم من الكتاب المقدس بتفسيراته الحرفية، خلافاً لما كان متبعاً في الكنيسة الكاثوليكية التي كانت تعتمد على التفسير المجازي للتوراة،

بحيث يتلاءم مع المفاهيم المسيحية التي بشر بها السيد المسيح.

من هذا المنطلق بدأت روح العهد القديم تنتشر بين الأوروبيين وتترسخ في أذهانهم، وخاصة عند البروتستانت الذين بدأوا يعتبرونه مصدر المعلومات الدينية الأهم بالنسبة لهم، فولدت بذلك حركة تعاطف مسيحية مع الصهيونية أدت إلى دخول الكثيرين من البروتستانت في الحركة الصهيونية التي أصبحت فيما بعد تسمى بالصهيونية العالمية لاحتوائها على أعضاء من الأمميين الذين لا يدينون باليهودية.

في البداية كنا قد أكدنا تحوير التوراة وابتداع التلمود ككتاب رديف لها، كما بينا تسلسل انخراط بعض المسيحيين في جدلية المفاهيم التوراتية، وأما وقد أصبح الأمر واقعاً لا بد منه:

فكيف سيتعاطى المسيحيون مع هذا الأمر الطارئ على مفاهيمهم الدينية.

وما الذي يؤكد لهم صحة التنزيل الإلهي لما قدمه لهم اليهود من النصوص التوراتية المناهضة لدينهم ولجميع الأديان؟

ولماذا أتى المسيح ﷺ، وماذا كان دوره، وما هي رسالته، إذا كان المقصود بالالتزام بالناموس يعني التقيد الحرفي بنصوص العهد القديم، الذي ينكر مجيء المسيح نفسه حتى الساعة؟

ولماذا قال المسيح ﷺ في الإصحاح السادس عشر من إنجيل مرقص لتلاميذه... اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها - من آمن واعتمد خلص - ومن لم يؤمن يدن؟.

ألم يكن مفروضاً على جميع اليهود اتباع رسالة السيد المسيح ﷺ لإكمال الناموس كونهم من الأمم المقصودة بكلام المسيح ﷺ؟

وكيف يتجلى مفهوم إكمال الناموس، وهل يكمل ما كان كاملاً، أم يأتي الإكمال على كل ما اعتراه نقص أو قصور في منهجية تطبيق التكليف؟

ففي القوانين الإلهية أو الوضعية، ألا تنسخ القوانين الحديثة القوانين القديمة في كل ما يتناقض منها، ولماذا نقبل بالتنازل عن الإنجيل الجديد الذي

فرضه المسيح ﷺ سبيلا للخلاص لمصلحة التوراة القديمة، ولمصلحة من، وما هي الحكمة في ذلك؟

وما هو رأي الكنيسة الكاثوليكية في هذا المجال؟

كتب الأستاذ عجاج نويهض في كتابه بروتوكولات حكماء صهيون نقلاً عن كريستوفر بيكو مقطعاً من المقابلة التي جرت بين البابا بيوس العاشر وهرتزل سنة ١٩٠٣، وكان هرتزل يهدف من هذه المقابلة إلى إقناع قداسة البابا بدعم الكرسي الرسولي لإقامة الدولة الصهيونية على أرض فلسطين.

فماذا قال قداسة البابا لهرتزل في هذه المقابلة:

(هناك احتمالان اثنان: فإما أن اليهود يحتفظون بمعتقدهم القديم، ويظلون ينتظرون مجيء المسيح، المسيح الذي نعتقد أنه جاء. وفي هذه الحالة يكون اليهود منكرين للاهوت يسوع المسيح، فلا يكون بوسعنا أن نمد لهم يد المساعدة.

وإما أنهم يريدون الذهاب إلى فلسطين ولا دين لهم على الإطلاق، وهذا أدعى لنا لنكون أقل عطفاً عليهم.

إن الدين اليهودي هو أساس ديننا، غير أن اليهودية قد حلت محلها المسيحية ولهذا السبب لا يمكننا اليوم أن نعطي اليهود أكثر مما أعطيناهم من قبل - يقول كريستوفر أن هذه العبارة استعملت بمثابة تذكير بقضية «سرقة الدم» والخطف والقتل لبعض المسيحيين من قبل اليهود لاستعمال دمائهم في الطقوس الدينية اليهودية - ثم يختم قداسة البابا لقاءه مع هرتزل بقوله: وغاية ما بوسعي أن أقوله لك أنكم أنتم اليهود إذا استطعتم الاستيطان في فلسطين، فجل ما نقدر على مساعدتكم به هو الكنائس والقسس لتعميدكم.

أسئلة كثيرة وكثيرة تفرض نفسها حول جوهر العلاقة المسيحية اليهودية، فالمسيح أتى لهداية الضالين من اليهود، فتعاليمه إذا هي الواجبة الاتباع من قبل اليهود، ولكن الأمر اختلف، وانقلبت المفاهيم، فعاد المسيحيون إلى الجذور التوراتية، ولم يعترف اليهود بالمسيح وإنجيله وتعاليمه، فالتوافق بين سماحة

الإنجيل وعنف التوراة المحرفة أمر مستحيل، ولا بد من الأخذ بواحد منهما، ولأن المسيح استبعد القتل أو حتى البغضاء بين الناس، فلا يمكنه أن يتبنى إبادة الشعوب السبعة المدرجة في العهد القديم والتي جرى تعدادها سابقاً في أول الكتاب، بالإضافة إلى ما استحدث من شعوب على لوائح الإبادة الأميركية في شرقي آسيا والشرق الأوسط وإفريقيا.

أمام هذا الواقع ستحمل فيما بعد فئة من العالم المسيحي السلاح لتحارب دفاعاً عن العقيدة الصهيونية المستوحاة من التوراة المحرفة والتلمود، وتخوض حروبها الدينية المستندة إلى العهد القديم المدون في الكتاب المقدس، على أساس أنها حروب عقائدية منزلة في كتاب سماوي واجب الاتباع وتنفيذها تكليف إلهي ملزم.

لم يكتفِ الصهاينة بإدخال التوراة المحرفة إلى معتقدات بعض المسيحيين بل أدخلوا معها نصوصاً من التلمود والتعاليم الماسونية، لذلك سأورد مثلاً عنها لأبين مدى اختراق الفكر الصهيوني للمفاهيم الدينية المسيحية الغربية.

كتب محمد السماك نقلاً عن وكالة الصحافة الفرنسية تحت عنوان في الطريق إلى هرمجيدون نبأ من القدس المحتلة يتضمن نداء للحاخام مناحيم شنيرسون الزعيم الروحي لحركة حباد اليهودية المتدينة يقول فيه «إن أزمة الخليج تشكل مقدمة لمجيء المسيح المنتظر».

يعتقد اليهود أن المسيح لم يظهر بعد، وإن ظهوره سيتم في إسرائيل، ويعتقدون كذلك أن من علامات ظهوره وقوع محنة عالمية كبيرة، فيأتي المسيح ليخلص الإنسانية ويجدد اليهودية التي تسود العالم.

لكن، هناك فئة من المسيحيين الإنجيليين تؤمن بالعودة الثانية للمسيح. هذه الفئة منضوية أساساً في كنيسة أميركية كبيرة هي الكنيسة التدبيرية، ويبلغ عدد أتباعها داخل الولايات المتحدة نفسها نحو ٦٠ مليون شخص.

تؤمن هذه الكنيسة بأن للعودة الثانية للمسيح شروطاً منها: قيام دولة صهيون وتجميع يهود العالم فيها.

ثم تتعرض الدولة اليهودية إلى هجوم من غير المؤمنين، خصوصاً من «المسلمين والملحدين» ثم تقع مجزرة بشرية رهيبة تدعى «هرمجدون» نسبة إلى اسم سهل مجيدو الذي يقع بين الجليل والضفة الغربية. في هذه المعركة تستعمل أسلحة مدمرة كيماوية ونووية، ويقتل فيها مئات الآلاف من المهاجمين ومن اليهود معاً.

بعد ذلك يظهر المسيح، فوق أرض المعركة ليخلص بالجسد المؤمنين، فيرفعهم إلى فوق سحب المعركة حيث يشاهدون بأم العين جثث القتلى والدمار والخراب على الأرض، قبل أن ينزل (المسيح) إلى الأرض ويحكم العالم مدة ألف سنة (الألفية).

من أتباع هذه الكنيسة شخصيات أميركية سياسية ودبلوماسية وإعلامية وعسكرية تتبوأ مراكز قيادية بارزة، يرجح أن يكون منهم الرئيس جورج بوش، وكان منهم بالتأكيد الرئيس السابق رونالد ريغان.

أصبح تقليدياً دعوة شخصية دينية أو أكثر من هذه الكنيسة إلى البيت الأبيض في كل مرة يجد الرئيس الأمريكي نفسه مدعواً لاتخاذ قرار جوهري يتعلق بالشرق الأوسط. أهمية مشاركة الشخصية الدينية هي العمل على توجيه القرار الأميركي بحيث يتوافق مع إرادة الله، وفي مفهوم هذه الكنيسة، فإن إرادة الله تحددها التفسيرات الموضوعة لمجموعة من التنبوءات الدينية التي ورد ذكرها في بعض أسفار التوراة والعهد القديم، مثل سفر الرؤيا وسفر حزقيال وسفر يوحنا وغيرها، من هذه النبوءات معركة هرمجيدون التي يتبعها مباشرة الظهور الثاني للمسيح.

وفي آذار من العام ١٩٨١ نقلت صحيفة نيويورك تايمز عن أحد كبار شخصيات هذه الكنيسة، وهو القس جيري فولويل، أن الرئيس رونالد ريغان قال له «جيري» إنني أحياناً أؤمن بأننا نتوجه بسرعة كبيرة نحو هرمجيدون.

وفي تشرين الأول من العام ١٩٨٣ قال الرئيس ريغان أمام لجنة العلاقات العامة الأميركية ـ الإسرائيلية: إنني أتساءل إذا كنا نحن الجيل الذي سيشهد

معركة هرمجيدون، إن النبوءات في العهد القديم تصف تماماً الوقت الذي نمر فيه.. العلاقة بين العمل السياسي ـ العسكري أو الإيماني الديني بهذه النبوءات هي علاقة مباشرة.

ذلك فإن هذه الكنيسة تعلم أتباعها أن من واجب الإنسان أن يوظف كل إمكاناته وقدراته لتحقيق إرادة الله، وإن الله يختار من الناس من يؤهلهم ويمكنهم من القيام بهذا الدور المساعد. وهذا يعني أن الإيمان بهرمجيدون يتطلب إنتاج الأسلحة المدمرة، وقد أُنتجت، كما يتطلب خلق الظروف المؤاتية لاستعمال هذه الأسلحة في المكان الذي تحدده النبوءات للظهور الثاني للمسيح، وهذا المكان هو الشرق الأوسط.

في إطار هذا الإيمان كان العمل على إقامة إسرائيل «صهيون» وفي إطار هذا الإيمان يجري العمل على تجميع اليهود في إسرائيل، والتزاما بهذا الإيمان أيضاً تعطل كل إمكانية للسلام بين العرب واليهود، وتتواصل حالة الحرب في المنطقة حتى يقع الانفجار الكبير، الذي لا بد منه لتحقيق الإرادة الإلهية بالعودة الثانية للمسيح «أو بظهور المسيح كما تقول الرواية اليهودية».

وردت كلمة هرمجيدون مرة واحدة في الإنجيل وتحديداً في المقطع السادس عشر من الفصل السادس عشر من سفر الرؤيا «وجمعهم كلهم في مكان واحد يدعى بالعبرية هرمجيدون.

وفي الفصل ٣٨ و٣٩ من سفرحزقيال وصفٌ لما يحدث: ستنهمر الأمطار وتذوب الصخور وتتساقط النيران وتهتز الأرض وتتساقط الجبال وتنهار الصخور وتتساقط الجدران على الأرض في وجه كل أعمال الإرهاب.

ويفسر القس هول ليندسي الحلم الذي ورد في سفر يوحنا بأنه ـ أي يوحنا ـ رأى في الحلم جراداً لها أذيال العقارب: بأنها طائرات هليوكوبتر كوبرا التي تطلق من أذيالها غاز الأعصاب.

«سيناريو» هرمجيدون كما يرسمه هال ليندسي في كتابه «آخر أعظم كرة أرضية» يفترض:

قيام إسرائيل.

عودة اليهود من الشتات إلى أرض الميعاد.

إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى.

تعرض إسرائيل إلى هجوم كبير من الكفار «المسلمين».

قيام دكتاتور يكون أسوأ من هتلر أو ستالين أو ماو تسي تونغ يتزعم القوات المهاجمة.

خضوع معظم العالم لسيطرة هذا الدكتاتور الذي يعادي اليهود.

تحول ١٤٤ ألف يهودي إلى المسيحية بحيث يصبح كل واحد منهم مثل بيلي غراهام «القس الإنكليزي الأميركي» ينتشرون في العالم لتحويل بقية الشعوب إلى الديانة الإنجيلية.

وقوع معركة هرمجيدون النووية التي تتسبب في كارثة بيئية ضخمة.

ارتفاع المؤمنين بالولادة الثانية للمسيح وحدهم بمعجزة إلهية فوق أرض المعركة ونجاتهم من الكارثة، بينما تذوب أجسام بقية البشر كالحديد المنصهر.

حدوث كل ذلك في غفلة عين.

نزول المسيح بعد سبعة أيام إلى الأرض ومعه المؤمنون به.

حكم المسيح للعالم لمدة ألف عام بعدل وسلام حتى تقوم الساعة.

وفي التفاصيل يفترض السناريو أن تتوحد أوروبا الغربية، وأن تشق أوروبا الموحدة عصا الطاعة على الولايات المتحدة، ويفترض السناريو أيضاً أن تقع مجابهة اميركية «إنجيلية» ـ أوروبية «كاثوليكية» في الشرق الأوسط، بحيث يقف الكاثوليك (كذلك الأرثوذوكس) إلى جانب المسلمين، ضد المؤمنين بالعودة الثانية للمسيح من الإنجيليين.

طبعاً كان يمكن أن يبدو هذا السيناريو وكل هذا الكلام مجرد خزعبلات دينية أو مجرد هلوسة دينية، لكن عندما يكون من بين المؤمنين بها إيماناً صادقاً وشديداً الرئيس الأميركي رونالد ريغان ووزير الدفاع السابق غسبار وينبرغر

وغيرهم من الشخصيات الأميركية السياسية والعسكرية التي تتبوأ مراكز قيادية في الوقت الحاضر، وعندما تتولى هذه الشخصيات توزيع نسخ من كتاب هول ليندسي على كل أعضاء البيت الأبيض وموظفي البنتاغون وقادة الجيوش الأميركية وعلى جميع أعضاء الكونغرس وعلى حكام الولايات والشخصيات النافذة، لذلك فإن السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأميركية تصبح مجرد ترجمة لهذا المفهوم الإنجيلي المتهود ـ للمسيحية.

أمام نص واضح من هذا النوع لا مجال للشرح والتعليق فالأعداء هم المسلمون، والكاثوليك، والأرثوذوكس، والملحدون، وهذ العداء قديم متجدد يروج له الصهاينة منذ القدم ولا يزالون يعملون على تطبيقه حتى اليوم.

ولكن نقطة الخطر تكمن في اعتماد فئة من المسيحيين على هذه النصوص التوراتية والتلمودية على حساب الالتزام بتعاليم المسيح المتسامحة الداعية إلى المحبة والإيمان بالله.

فهل الالتزام بالناموس يقتضي التقيد الحرفي بتحريف التوراة تماشياً مع السياسة اليهودية، أم يدعو إلى العمل بروحية مفاهيمها الإيمانية والتشريعية المنزلة على موسى عليه السلام، والتي تتطابق مع تعاليم الإنجيل؟.

فلا مجال للخروج من هذا المأزق الصهيوني إلا بالفصل بين الإنجيل والنصوص التوراتية المحرفة، فالإنجيل بعيد كل البعد عن العنف والإرهاب في جميع وجوهه ومضامينه، والالتزام به يجعل من الشعب المسيحي شعباً مؤمناً متسامحاً مؤاخياً لكل شعوب العالم.

أما في حال اتباع المسيحي لفصول العهد القديم كما كتبها اليهود، فبالطبع سيختلف الوضع؛ لأن عقيدته بذلك ستتبنى أقصى دعوات العنف والإرهاب الديني المنافي لتعاليم المسيح، الذي خلص العالم من عذاب الجسد بالفداء على الصليب حسب العقيدة المسيحية ذاتها، فهل يعقل أن تهمل عقيدة من يفدي العالم بجسده، ليخلص البشرية من عذاباتها الجسدية، وتتبع بدلاً عنها عقيدة أخرى تدعو للقتل والتعذيب الجسدي لشعوب العالم كما هو مكتوب في العهد القديم.

القرآن والعنف

ذكر العنف في القرآن الكريم في عدة سور، حيث نجد آيات تحض المؤمنين على القتال والجهاد ضد الكفار والمشركين. وفيما عدا ذلك فإن القرآن الكريم يحصّن النفس البشرية ضد كل أشكال العنف والإرهاب.

لم يكن للمسلم الخيار في تحديد العدو والصديق لأن هذه العداوة أو تلك الصداقة لم تكن مبنية على مصالح سياسية أو مالية ليختار الأنسب منها، فالهدف الأسمى هو شهادة أن لا إله إلا الله، مع كل ما تتضمنه هذه الشهادة من أركان وموجبات.

ففي القرآن الكريم، دستور المسلمين تحديد لأطر التكليف الإلهي بشكل بيّن يشمل جميع مستلزمات الحياة الدينية والدنيوية، إضافة إلى تحديد الصديق والعدو، ونصرة المسلمين لبعضهم البعض أو ما يسمى (وحدة القضية) والمعاهدات والصلح إلى ما هنالك من تفاصيل إعداد الجيوش وتنظيمها، وطرق تنفيذ القتال، ووحدة القيادة.

وبما أننا بصدد دراسة الدوافع القتالية بين المسلمين وباقي الشعوب فلن نتطرق إلى أكثر من تحديد العدو والصديق، والنصرة أو وحدة القضية.

لذلك لا بد من إدراج معظم الآيات الداعية للقتال في القرآن الكريم للوقوف على أسباب نزول مثل هذا النوع من التكليف الإلهي على نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه.

بالعودة إلى عصر الجاهلية وما ساد فيها من الكفر وعبادة الأصنام، ووأد البنات، وانتفاء القيم الأخلاقية، وخرق الحرمات، والغزو المتبادل بين القبائل، والاسترسال في إتيان المنكر، إلى ما هنالك من التفكك

والإنحلال في البنية الاجتماعية والسياسية لسكان شبه الجزيرة العربية.

في هذه البيئة المضطربة ولد محمد بن عبد الله ﷺ وأُوحيَ إليه ليدعو إلى عبادة الله الواحد، فحاول عبثاً إقناع عشيرته قريش بتعاليم الدين الجديد باستثناء عدد قليل ممن آمنوا برسالته واتبعوا هدي الإسلام.

لم تلتزم قريش موقفاً سلبياً من هذه الدعوة فقط، بل تعدته إلى مقاومة الرسول ﷺ وإيذائه في عدة مناسبات وتهديد حياته بالخطر، فاضطر للهجرة، مع أصحابه من المسلمين إلى المدينة المنورة، فلاحقته قريش وظلت تناصبه العداء، محاولة قتله بالاتفاق مع لفيف من الكتابيين المقيمين في شبه الجزيرة العربية آنذاك.

إرادة الله ﷻ قضت بنشر الإسلام، فعصم ﷻ نبيه من أعدائه، ليبلغ الرسالة، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، لكن قريش رفضت الالتزام وجهزت الجيوش معلنة الحرب عليه وعلى أتباعه. وبما أن قتل النفس بغير حق غير جائز في الإسلام امتثالا لقول الله ﷻ في الآية ٣٣ من سورة الإسراء حيث يقول ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾.

وكذلك في الآية ٦٨ من سورة الفرقان يقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾.

فما هو السبيل لمواجهة ضلال الكفار والمشركين في حروبهم على رسوله الكريم وإخوانه المسلمين.

جاء القرآن الكريم ليشرع هذا النوع من الجهاد في عدة آيات سنستنير بمعظمها حسب تسلسل ورودها في سور القرآن الكريم:

سورة البقرة:

﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا

﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ (١٩١)﴾.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦)﴾.

سورة المائدة:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢)﴾.

سورة الأنفال:

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٥) ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٥٧)﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (٦٥)﴾.

سورة التوبة:

﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ (٢٩)﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (٧٣)﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ (١٢٣)﴾.

سورة الفرقان:

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢)﴾.

هذه هي معظم آيات القتال في القرآن الكريم وجميعها آيات مكية، أي أنها أنزلت على الرسول ﷺ في بداية نزول الوحي كونها من ضمن مبدئيات

التكليف الأساسية، لأن الرسالة أُنزلت لنشر الإيمان ومحق الكفر والكافرين. ولم يكن هدفها إبادة الأمم والشعوب كما مر معنا في النصوص التوراتية.

فلم يقتل المسلمون يوماً كنعانياً ولا حثياً ولا أمورياً ولا غيرهم لمجرد أنهم شعوب تستحق الإبادة، بل دعا جميع عباد الله إلى الإيمان بربهم، فمن دخل في قلبه الإيمان أصبح مسلماً، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، دون النظر إلى أصله وجنسه ولونه، فالرسول ﷺ يقول: لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى. كونها المقياس الوحيد المعتمد في الإسلام للتفضيل بين البشر ولا شيء سواها.

سيقول قائل من الوجوديين أو الملحدين ما شأن المسلمين ـ الذين ارتضوا لأنفسهم الإسلام ـ بالكافرين أو بغيرهم حتى يقاتلوهم ويفرضوا عليهم الإسلام فرضاً بالقوة؟

فأعود وأذكر بما ورد تحت عنوان: «لماذا الأديان»، مع التركيز على الخطر الذي تشكله القوة المقرونة بالكفر على المؤمنين والكافرين على حد سواء، فبانتفاء الضوابط الشرعية النابعة من ذات القائد أو القيّم، يصبح وجوده وتصرفاته بمثابة الخطر الداهم الذي يهدد جميع من حوله، وبالتالي يجب أن يوضع بين خيارين:

إما الإيمان بالله وبشرائعه التي تُوجِد عنده الرادع الذاتي المتمثل بالطاعة لله بالدرجة الأولى، والخوف من عذاب الآخرة بالدرجة الثانية، فتستقيم أعماله وتتقيَّد ميوله وتصرفاته الغرائزية ويسلم الناس من شره وأذاه.

وإما أن يبقى كافراً أو مشركاً، وتصبح قوته وبالاً عليه وعلى المحيطين به من مؤمنين وكافرين، لذلك فرض الإسلام استئصال هذه الأنواع من المجتمعات المؤمنة، ليس رغبة في القتل والإبادة كما أسلفنا، بل باعتبارها ضرورة إنسانية بهدف حماية القيم الدينية والأخلاقية في المجتمعات البشرية من شرور الكفار والمشركين وفتنتهم.

وخير دليل على الأخطار التي تتهدد البشرية اليوم، يكمن في امتلاك

بعض الدول للأسلحة النووية، فتخيلوا قوة عظمى لا تؤمن بالله أو تتراخى في تطبيق تعاليمه الدينية، فما هو الرادع إذا ما أرادت هذه القوة احتلال العالم أو تدميره أو اغتصاب حقوق المؤمنين، مع ما يستتبع ذلك من فتن وظلم وتدمير وقتل لعباد الله الصالحين.

من هنا يتبين لنا هدف دعوة القرآن لقتال هؤلاء الكفار، قبل أن يصبحوا قوة تهدد الأرض وشعوبها وتقضي على القيم الاجتماعية والدينية والخلقية.

فالمكلف بالقتال من المسلمين له عدو واحد يتمثل بالكافر والمشرك ولا يتعداه إلى غيره من العباد، فالنفس المؤمنة لها حرمتها في الدين الإسلامي، فلا يجوز قتلها إلا تنفيذاً لحق شرعي محدد في نصوص القرآن الكريم.

ففي سورة النساء يقول تبارك وتعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾.

سورة المائدة:

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

هكذا يتعامل الإسلام مع النفس المؤمنة التي تلقى في تعاليمه حماية كاملة، فلا تُظلم ولا تُقتل، وإلا فنفس بنفس ووعد من الله ﷻ بعذاب خالد في جهنم وغضب منه ولعنة.

فأين الإرهاب أو العنف في تطبيق هذه الحقوق الإلهية؟

أو ليست القوانين الوضعية في معظم دول العالم تتبنى هذا النوع من العدالة في معالجة حالات القتل والإيذاء؟

وفي النتيجة نؤكد أن الإسلام لم يتبنّ يوماً فكرة الإرهاب بمفهومها الإجرامي، ولم يؤمن بها، لأن القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ يشددان على احترام النفس البشرية وحقوقها حتى في أشد لحظات القتال حرجاً على المسلمين، فكتابهم يحرم عليهم قتل النفس البشرية بغير وجهة حق، وكذلك سنة نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، الذي نهى عن قتل الوليد والمرأة والعسيف (أي الأجير) حتى أثناء القتال حسب السيرة النبوية الشريفة لابن هشام.

كما أوصى أبو بكر الصديق مجاهدي الحملة المتوجهة إلى فتح بلاد الشام لنشر الدعوة الإسلامية بقوله: لا تخونوا ولا تغدروا، ولا تفعلوا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة أو بقرة ولا بعيراً، وسوف تمرون بأقوام فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له.

فهذا المنع القرآني وهذا النهي النبوي هما دستور المسلمين في تعاملهم مع مسرح المعركة التي يخوضونها قبل أن يفكر العالم الذي يدعي الحضارة من تنظيم اتفاقيات مماثلة لروح الإسلام، ويطلق عليها اسم اتفاقيات جنيف، بعد ١٤٠٠ سنة من تطبيقها عند المسلمين.

إذا ما هي العلاقة بين الإسلام وبين الإرهاب؟

وهل وجدتم في هذه التعاليم ما يوحي بتبني المسلمين لأي نوع من أنواع الإرهاب المتبع عند غيرهم من الكتابيين أو الملحدين؟

وهل ألصقت بهم تهمة الإرهاب لأنهم يمارسون فعلاً الأعمال الإرهابية، أم لأنهم أمة تفرض عليهم عقيدتهم مقاومة الإرهاب الاستعماري؟

طبعاً لا يمارس المسلمون الإرهاب كما يدعي المستعمرون، ولكنهم أمة شاء القيمون على أمورها أن تكون أضعف الأمم، فباتت هدفاً سهلاً أمام أطماع الغزاة المستعمرين، فرميت بجميع التهم الممجوجة من العالم تسهيلاً

للاستفراد بها والقضاء عليها والسيطرة على مقدراتها الاقتصادية.

فإذا سألنا أنفسنا عن السبب الذي أوصل المسلمين إلى مثل هذه الحالة من الضعف والتخاذل، فإننا لا نعجز عن الجواب إذا اقتنعنا بأن زعماء المسلمين لا يطبقون الإسلام، ولا يتقيدون بالقرآن الكريم في ممارساتهم القيادية لهذه الأمة، بل على العكس فإنهم يهادنون الصهيونية والاستعمار على حساب كرامة الأمة ووحدة قضيتها المفروضة في كتاب الله ﷻ حتى لايتهموا بالأصولية أو التخلف في زمن الحداثة، وكأن القرآن الكريم أنزل ليحكم مرحلة زمنية تخطاها الزمن وحل محله النظام العالمي الجديد الذي بدأ يسيطر على بعض الذهنيات القيادية الإسلامية، مع العلم بأن الصهيونية تجاهر بمخططاتها التوراتية، وتعمل على تطبيقها بفخر واعتزاز على مرأى ومسمع جميع الأمم ولا تتهم بالأصولية، كما أنه ليس مفروضاً عليها الانضواء تحت لواء النظام العالمي الجديد إلا فيما يؤمن لها تنفيذ مخططاتها التوسعية.

فإلى متى يا قادة الأمة تتقوقعون داخل الحدود الجغرافية التي قسمت عالمكم الإسلامي إلى أشلاء تتجاذبها أطماع الصهاينة والمستعمرين؟

وماذا سيكتب التاريخ عنكم إذا تقاعصتم عن القيام بواجبكم حتى لا تساهموا بضياع حقوق هذه الأمة؟

وكيف ستواجهون الله ﷻ وبماذا ستجيبون عند السؤال: ماذا نفذتم من القرآن في سبيل الله، وهل كنتم خير عون للإسلام والمسلمين؟

وماذا ستقولون للشهداء والنساء والشيوخ والأطفال الذين قتلوا ظلماً في ظل ولايتكم على أمور المسلمين؟

فأين اليوم أنتم أيها المسلمون؟

وكيف يمكن أن أخاطبكم؟

فعن أي أمة أتكلم والمرأة والطفل والشيخ يذبحون في فلسطين، والعراق والهند، وباكستان، وأفغانستان، والبوسنة، وأذربيجان، والشيشان وفي كل قطر من الأقطار الإسلامية؟

وعن أي مسلم أتكلم ووزير إسرائيلي يقترح قصف الكعبة المشرفة في موسم الحج؟

وعن أي مسلم أتكلم والمسجد الأقصى مهدد بالقصف بالطائرات أو بالحريق ليعاد بناء الهيكل على أنقاضه؟

وعن أي مسلم أتكلم وقادة العالم الإسلامي يتسابقون إلى تل أبيب وواشنطن ليشتروا أمن عروشهم من هؤلاء المستعمرين.

فيا ليتني عرفت عمورية، وعرفت المرأة التي ظُلمت وصرخت وامعتصماه فهب عالمها الإسلامي لنصرة صوتها المظلوم، وأبى أن يتخلى عن واجبه في الدفاع عن امرأة وحيدة ظلمها أعداء الإسلام لأنها جزء لا يتجزأ من عزته وكرامته.

فيا أيها المسلمون كيف تعبدون الله وأنتم لا تتقيدون حتى بكتابه؟

أولم يأمركم بالتضامن عندما يقول في سورة آل عمران:

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

أو كما يقول في سورة الأنبياء:

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾.

فهل تتقيد أمة الإسلام بالقرآن في تعاملها، أم أنها تتقيد بأوامر بوش وشارون؟

فما هو مصير الإسلام والمسلمين إذا لم يتحدوا كما أمر الله ويواجهوا معاً الأخطار المحدقة بهم؟

ولتعلموا أن كل إنسان يخاف الموت ويحب الحياة، فعدوكم ليس أقوى منكم إذا تمسكتم بوحدتكم وعقيدتكم، ولن تستطيع آلات دماره أن تكسركم، أو تنال من عزيمتكم إذا عقدتم العزم على مقاومة الظلم؛ لأنكم أمة الشهادة، ولكم في تجربة المقاومة في جنوب لبنان خير دليل على قدرة العقيدة والإيمان التي حطمت أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر.

دوافع الإرهاب الغرائزية

عالجنا في الفقرات السابقة بعض ما تحمله الكتب السماوية من عقائد تبيح قتل الأنفس البشرية، كما تطرقنا إلى بعض ما في الكتب الوضعية المستمدة من العقائد الدينية غير الإسلامية والتي تحتوي على الكثير من الشروحات العنصرية الداعية إلى القتل والتخريب والتدمير، ولكننا لم نتطرق إلى باقي الدوافع المسببة للإرهاب عل الرغم من تنوعها وكثرتها، إلا أنه يمكننا اختصارها تحت عنوان واحد متمثل بالدوافع الغرائزية.

الميول الغرائزية:

خلق الله ﷻ الملائكة من روح وعقل، بغير جسد أو غريزة.

وخلق الحيوان من روح وجسد، بغريزة تامة من غير عقل.

وخلق الإنسان من روح وعقل وجسد وغريزة.

فالإنسان يشارك الملاك بالروح والعقل، ويشارك الحيوان بالروح والجسد والغريزة، وبما أن العقل هو أداة الإدراك والتكليف الإلهي، فإن دوره يجب أن يشتمل على تهذيب الغرائز الجسدية ليسمو بالنفس البشرية ويرفعها باتجاه خصائص الملائكة، وعلى العكس فإنه إذا تحكمت به الغرائز الحيوانية الملبية فقط للحاجات الجسدية الصرفة فإنها تهبطه إلى مصاف الحيوانات، ففي سبيل المحافظة على سمو النفس لا بد له من خلق التوازن المطلوب بين العقل المدرك للتكليف، وحاجات الجسد الغرائزية، مع الأخذ بعين الاعتبار احترام حقوق الغير وحاجاته المماثلة؛ لأن عدم احترام حقوق الغير وحاجاته يستتبع الاعتداء عليها وبالتالي خلق الظروف الملائمة لمعظم الحروب الاستعمارية التي لا تنفذ إلا تحت تأثير الحاجات الغرائزية.

فما هو دور الغرائز في خلق الإرهاب وكيف ترتبط به؟

الغرائز البشرية:

فطر الإنسان على أربع غرائز هي:

غريزة الجنس.

غريزة الغذاء.

غريزة التملك.

غريزة العدوانية.

هذه الغرائز تتكامل فيما بينها وتستفيد من بعضها البعض لتكوّن طباع الإنسان وميوله، ولكننا لن نعلق إلا على غريزتي التملك والعدوانية لارتباطهما الوثيق بالسلوك الإنساني المتفاعل مع من حوله من البشر، بحيث نجد أن جميع الحروب غير الدينية التي نشبت في العالم كانت في سبيل إشباع غريزتي التملك والعدوانية.

كنا قد تكلمنا سابقاً عن دور الدين الحق في تهذيب هذه الغرائز وتقييد ميولها، حتى لا ينجر المرء وراءها وتدفعه إلى الإعتداء على نفس الغير أو ماله، فوجدنا في آيات القرآن الكريم منهجاً عاماً يحصن النفس المؤمنة ضد كل أشكال العنف والقهر والاستغلال، على عكس ما تنادي به التوراة المحرفة من اغتصاب للأرض، وقتل للأنفس، ونهب للأموال.

مما يؤكد أن اليهود ما كانوا ليحرفوا التوراة الإلهية المقيدة للغرائز لولا انسياقهم وراء غريزتي التملك والعدوانية، فجعلوا من التوراة منهجاً للعبادة المتمشية مع متطلبات الرغبات الغرائزية في آن واحد، وتبعهم في ذلك فئة كبيرة من المسيحيين المؤمنين بالتعاليم التوراتية كأتباع الكنيسة التدبيرية الأميركية وغيرهم.

إذا لا يمكن لحرب أن تنشب إلا لسببين أساسيين لا ثالث لهما:

الأسباب الدينية:

تناولنا مبررات الحروب الدينية في فصول سابقة، ولكنني أريد لفت

الانتباه إلى أن الحروب الإسلامية كانت جميعها حروب دعوية تتعلق بنشر الدين الإسلامي، وقلما تجد لها هدفاً آخر حتى في جدلية حصار الصين على يد قتيبة بن مسلم واحتلال الأندلس على يد طارق بن زياد وموسى بن نصير الذي كان يعارض فكرته من الأساس الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

أما إذا عدنا إلى حروب بني إسرائيل كما حُددت أهدافها في نفس التوراة المحرفة، باحتلال الأرض، وإفناء جميع شعوبها أو استعبادهم كالبهائم، ومن ثم السيطرة على كل مقدراتهم المالية والاقتصادية، نرى أنها لا تحمل صفة غير صفة الحروب الغرائزية.

الأسباب الغرائزية:

بعد حروب سفر الخروج اليهودية، وحروب الفتح الإسلامي، لم يشهد العالم حروباً دينية بالمعنى الصحيح، وإن كانت الحروب الصليبية تلامس أهداف الحروب الدينية، إلا أنها كانت أقرب إلى الحروب الغرائزية لارتباطها بنوع من التعصب المقرون بأطماع الغزاة بخيرات الشرق وطاقاته الاقتصادية.

وبما أن الزمن قد عفا على حروب الإسكندر والرومان والصليبيين ونابليون وغيرهم ممن اعتدوا على بلاد الشرق عبر العصور، ولكننا لا يمكن أن نبرّئ العالم الاستعماري الحديث من استسلامه للنزوات الغرائزية التي جعلته يجتاح البلدان الإسلامية ثلاث مرات في قرن واحد، لذلك سنحاول استخلاص بعض العبر من حروبه المعاصرة، ابتداء من الحرب العالمية الأولى مروراً بالحرب العالمية الثانية وصولاً إلى الحرب التدميرية العنصرية التي يشنها الغربيون على مهد الإسلام في بداية القرن الواحد والعشرين.

كانت البلاد الإسلامية طيلة القرن العشرين هدفاً للأطماع الغربية وخاصة بعد اجتماع حكماء صهيون في بال (سويسرا) سنة ١٨٩٧ حيث أصدروا بروتوكولاتهم الشهيرة، التي نصت على إنشاء وطن قومي يهودي على أرض فلسطين العربية المأهولة بالمؤمنين، وفي غمرة أحداث الحرب العالمية الأولى

تكشفت بعض نوايا المستعمرين عندما ظهر وعد بلفور، وكانت الجيوش الأوروبية قد بدأت السيطرة على منطقة الشرق الأوسط، مقسمة إياها إلى مناطق نفوذ فرنسية وبريطانية وإيطالية وغيرها، وبدأ العمل على إقامة دولة إسرائيل في وسط العالم العربي لفصله جغرافيا عن بعضه البعض، بغية تسهيل تقسيمه سياسياً والسيطرة عليه فيما بعد.

انتهت الحرب العالمية الأولى وبدأت الحرب العالمية الثانية التي كان من أهم أسباب نشوبها الأزمة الاقتصادية العالمية ـ وكلنا يعلم ماذا يعني الاقتصاد في قاموس غريزة التملك ـ وكان تأثير النفط على الاقتصاد العالمي قد بدأ بالظهور، فسارعت الدول الغربية إلى السيطرة على منابعه بشتى الوسائل العسكرية والسياسية، فقضت على الثورات العربية المناوئة، ونصبت على بلدان العالم الإسلامي حكاماً يدينون لها بالولاء مقابل منحهم السلطان وبعض مال النفط، محولين بذلك النفط العربي من طاقة مالية ضخمة تملكها الأمة، إلى ثروات فردية تملأ خزائن الحكام، وبنوك العالم الغربي، وبذلك ضمن العالم الغربي عدم استغلال النفط لتطوير قدرات الأمة بحصره في خزائن الملوك والأمراء.

نتج عن هذه الحرب العالمية الثانية قيام دولة إسرائيل فعلياً على تراب العالم الإسلامي، رافقت قيامها مجموعة من المجازر الإرهابية الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني، أدت إلى نزوحه عن أرضه التي اغتصبها اليهود، وتم فعلا بإقامة إسرائيل تقسيم العالم الإسلامي جغرافياً وسياسياً، فأصبحت الأمة الإسلامية بعد الحرب العالمية الثانية في حالة يرثى لها من الضعف والتفكك والانحلال.

سارعت الولايات المتحدة الأميركية إلى الاعتراف بإسرائيل بعد إعلان دولتها، وبدأت تدعمها في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والعسكرية؛ لأنها اعتبرتها موطئ القدم الذي سيمكنها فيما بعد من القضاء على الهيمنة الأوروبية في الشرق الأوسط واستبدالها بهيمنتها الوحيدة على هذا المصدر الهائل من المقدرات الاقتصادية عندما تسنح لها الفرصة المناسبة.

في النصف الثاني من القرن العشرين كان الاتحاد السوفياتي يشكل حاجزاً أمام أطماع الولايات المتحدة الأميركية في الشرق الأوسط لتضارب المصالح بينهما، مما أخر التدخل العسكري الأميركي المباشر ضد الأمة الإسلامية، ولكن حليفتها إسرائيل قامت بالمهمة المطلوبة على خير ما يرام، فاستنفدت الطاقات العربية لدول المواجهة في عدة حروب غير متكافئة.

ما إن انهار الاتحاد السوفياتي حتى شمرت الولايات المتحدة الأميركية عن ساعديها وبدأت تعد العدة للسيطرة على كامل العالم الإسلامي، فعملت مخابراتها المركزية في بادئ الأمر على تهيئة الأرضية الممهدة لهذا التدخل بجملة من العمليات التخريبية في أفغانستان، وباكستان، والعراق إبان الحرب العراقية الإيرانية، وكذلك المشاركة في التحريض على الحروب البلقانية، وقصف ليبيا لتدمير بنيتها العسكرية والاقتصادية، وقصف السودان، والصومال، والتضييق الاقتصادي على باقي دول العالم الإسلامي، ورعاية عدة حروب إسرائيلية على لبنان مع ما تخللها من المجازر في صبرا وشاتيلا والمدينة الرياضية وقانا إلخ.. وأخيراً كان احتلال العراق لدولة الكويت بعلم الإدارة الأميركية ومباركتها حسب بعض المصادر، ففتح الباب على مصراعيه لكل الاحتمالات التي لا يعلم نهايتها إلا الله ﷻ وإرادة المجاهدين المؤمنين.

بعد ذلك هاجمت الولايات المتحدة الأميركية وحلفاؤها أفغانستان لتقاتل نفس القوى التي كانت تدعمها في قتال الروس وارتكبت الولايات المتحدة الأميركية في أفغانستان أبشع المجازر ضد المجاهدين والمدنيين على حد سواء، وكان أكثرها فظاعة مجزرة قلعة جانجي في مزار شريف التي أمر رامسفيلد الذي كان يشغل منصب وزير الدفاع الأميركي آنذاك بإبادة من في القلعة من المحاصرين والأسرى لأنه لا يريدهم أحياء بحجة عدم وجود قوات كافية لديه يمكنها استيعاب هذا العدد الكبير من الأسرى، وبعد تصفية الأسرى تم حرق القلعة بكاملها إخفاء لهذه الجريمة الإنسانية المريعة.

ثم هاجمت الولايات المتحدة الأميركية العراق، الذي دعمته أيضاً في حربه ضد إيران، وارتكبت فيه أبشع مجازر التاريخ في ملجأ العامرية ومطار

بغداد باستعمالها اليورانيوم المستنفد وجميع المحرمات الدولية لتدمير العراق والسيطرة على مقدراته، والقضاء على جيشه المسلم الذي كان يخيف إسرائيل، ومن ثم تصفية شعبه المظلوم لأنه يعتنق الإسلام.

جرى كل ذلك دون أي سبب جوهري يمكن الإستناد إليه لتبرير هذه العدوانية الهمجية على الأمة الإسلامية، فلا أسلحة الدمار الشامل وجدت في العراق، ولا العراق كان من الممكن أن يهاجم أميركا أو أوستراليا أو بريطانيا أو غيرها من دول العالم، ولكن العراق بلد مسلم يمتلك جيشاً قوياً متمرساً على القتال ترفضه إسرائيل، لذلك تم تدمير العراق كحلقة أولى من حلقات سلسلة العالم الإسلامي الذي ينتظر دوره كالنعاج المعدة للذبح على باب المسلخ الأميركي الصهيوني.

بالطبع لن أتطرق إلى أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ كذريعة يمكن الاعتماد عليها لمحاربة الأمة الإسلامية؛ لأنني كأي مسلم في العالم لا نثق بالتحقيقات الأميركية والصهيونية سيما وأننا لا نعرف عن مرتكبي هذا العمل الإرهابي أكثر مما يعرف الموساد الإسرائيلي، والمخابرات المركزية الأميركية، وال. أف. بي. أي. ومخططو السياسة الأميركية من المكيافيليين، الذين جيشوا الأوروبيين لمساندتهم في الحرب على العراق ومن ثم قصفوا البريطانيين في أرض المعركة ونكلوا بغيرهم من الإسبان والإيطاليين لتخلو لهم أرض العراق ومقدراتها الاقتصادية.

لم أكن أسرد جميع وقائع الحروب الغربية الهمجية ضد المسلمين ولكنني ألقيت الضوء على بعضها للاستفادة من التحليل الموضوعي لدوافعها الحقيقية.

فأين حصلت جميع هذه الحروب؟

ومن هم ضحاياها؟

وما هو دور البترول والعقيدة الإسلامية في أسباب نشوبها؟

فكيف يمكن أن نقرأ هذه الحروب الغرائزية؟

مسرح المعارك:

لم يستثن أي قطر من الأقطار الإسلامية طيلة القرن العشرين وحتى اليوم من ويلات الحروب الغربية على بلاد المسلمين، ولم ينتقل مسرح المعركة ولو لمرة واحدة إلى بلد غير إسلامي، فحرب اليهود كانت وما تزال على أرض فلسطين وضد شعبها المقيم فيها، وبالتالي فإن بعض المسلمين الشرفاء ممن قاوموا الاستعمار الصهيوني كانوا في موقع الدفاع الصرف عن شرف الأمة ومقدراتها داخل قطر عزيز من الأقطار الإسلامية وضد شعب مغتصب يحتل أرضهم، ولم يهاجموا ولو لمرة واحدة الصهاينة وأتباعهم في أميركا أو بريطانيا أو إيطاليا، أو أستراليا، أو أية دولة أخرى، بل اتسمت حروبهم جميعها بالحروب الدفاعية.

كما أن جميع المقاومات الإسلامية ضد الغزاة المستعمرين تتم داخل الكيان الجغرافي للعالم الإسلامي وليس خارجه، مما يثبت أن حروب الغربيين كانت جميعها حروباً هجومية عدوانية، وأن رد المسلمين كان رداً دفاعياً ليس إلا.

الخسائر البشرية:

قتل الغزاة الحضاريون الديمقراطيون خلال القرن العشرين من المسلمين أكثر من عشرة ملايين شهيد، وضعفهم من الجرحى والمعوقين، وأكثريتهم من المدنيين، في سلسلة من المذابح الجماعية، بدءاً من الجزائر وثوارها، مروراً بليبيا عمر المختار ومصر والسودان، وفلسطين التي تحمل شعبها من الظلم ما لم يتحمله أي شعب آخر في عالمنا المعاصر، وصولاً إلى سوريا ولبنان والعراق وغيرها من البلدان العربية، كما امتدت نفس الأيدي لتطال بهمجيتها المسلمين في أفغانستان والهند وكشمير والشيشان وأذربيجان ودول البلقان، وبعبارة مختصرة ملاحقة المسلمين والتنكيل بهم في أي مكان يتواجدون فيه، حتى ولو كانوا داخل الدول الغربية نفسها.

فكم كان عدد ضحايا المستعمرين الغربيين المقابلين لضحايا المسلمين وأين قتلوا؟

وهل قتلوا في بلادهم أم في بلاد المسلمين؟

نعم قتل منهم قلة أثناء اعتدائهم على المسلمين في بيوتهم، وبعبارة أوضح قتلوا نتيجة دفاع المسلم المشروع عن نفسه وبيته ووطنه.

الخسائر المادية:

أدت الحروب الاستعمارية الغربية والصهيونية على عالمنا الإسلامي إلى خسائر مادية فادحة لايمكن حصرها إلا أننا سنذكر بعضاً منها على سبيل التذكير لا الحصر:

اغتصاب فلسطين وتدمير جميع المقومات العسكرية والاقتصادية للشعب الفلسطيني، ومنعه من معاودة النهوض بشتى الوسائل الإرهابية الصهيونية.

تدمير الجيوش العربية المجاورة لإسرائيل بفعل آلتها العسكرية المدعومة من جميع القوى الاستعمارية.

تطوع اميركا لتدمير الجيش الليبي المستحدث، والعراقي الأقوى في المنطقة، وضرب الاقتصاد الليبي والسوداني، وأخيراً احتلال العراق والسيطرة التامة والمباشرة على اقتصاده.

استنفاد الطاقات الاقتصادية لدول الخليج العربي في سبيل تغطية نفقات الحرب على العراق وترفيه الشعوب الاستعمارية على حساب لقمة عيش المسلمين.

تدمير الاقتصاد اللبناني عدة مرات طيلة الثلث الأخير من القرن العشرين على يد القوات الإسرائيلية.

تهديد الاقتصاد السوري والإيراني بجملة من القوانين المسماة بقوانين الحظر وغيرها.

منع التطور التكنولوجي في جميع الدول الإسلامية، بحجة المحافظة على توازن القوى في الشرق الأوسط.

تدمير أفغانستان تدميراً شاملاً تقريباً، وكذلك تدمير أغلب دول البلقان الإسلامية.

الاستنتاج:

نتج عن هذه الحروب احتلال للأرض الإسلامية مع ما استتبعها من السيطرة على الموارد الاقتصادية وخاصة البترول، إشباعاً لغريزة التملك المسيطرة على الذهنية الصهيونية العالمية الاستعمارية.

كما خلفت هذه الحروب ملايين القتلى والجرحى من العالم الإسلامي، إشباعا للغريزة العدوانية عند المستعمرين، وأشاعت جواً من الظلم المدمر الذي ولد حالة من الحقد الذي لا ينتهي بين المستعمرين وبين جميع المؤمنين من شعوب العالم الإسلامي.

نعم إن هذه الحروب العدوانية هي بطبيعتها حروب غرائزية غير مبررة بكل ما في الكلمة من معنى، هدفها الأول والأخير قتل المسلمين، والسيطرة على بترولهم، وبالتالي إشباع غريزتي التملك والعدوانية عند القيمين على السياسة الأميركية والصهيونية والحليفة، ليملأوا خزائنهم بخيرات هذه الأمة، ويرفهوا شعوبهم على حساب دماء المسلمين وأموالهم وممتلكاتهم.

وأغرب ما في الأمر أنهم يدعون الحضارة والتقدم والتحرر، مع أنهم لا يزالون يرتعون تحت تأثير أحط الغرائز الحيوانية، التى يعف عنها أدنى الحيوانات، فالنمر والثعلب أو حتى الكلب لا يقتل فريسة إلا عندما يجوع، ويكتفي بقتل ما يشبعه ليومه فقط.

أما هؤلاء المتحضرون فلماذا يقتلون؟

ولماذا ينهبون؟

وماذا ينقصهم بعد أكثر مما يملكون؟

أو ليس معظم مال العالم مملوك من اليهود والأميركيين والأوروبيين وبعض دول آسيا الشرقية؟

فماذا يريدون بعد؟

ومن أعطاهم الحق باستعباد العالم ونهب مقدراته؟

وهل عز عندهم وجود المؤمنين والمفكرين والحقوقيين، حتى يثقفوهم

ويرفعوهم من مراتع الغرائز الحيوانية إلى مصاف العالم المتحضر الملتزم بالقيم الدينية والإنسانية؟

وهل وصل مستوى تفكيرهم وثقافتهم السياسية إلى هذا الحد من الانحطاط، حتى يعجزوا عن التمييز بين الأهداف السامية والأهداف الدنيئة؟

وكيف يمكن ردع هؤلاء الغرائزيين المهووسين بجمع وتخزين المال ومص الدماء؟

على كل حال نحن المخطئون؛ لأننا لو كنا فعلاً نؤمن بالإرهاب كما يدعون لردعناهم قبل أن يتجرأوا ويخططوا لحروبهم الهمجية على بلاد المسلمين.

فيا أيها المسلمون إذا كان الإرهاب يخالف شرع الله المبين في بعض آيات القرآن الكريم.

فعدم نصرة المسلمين تخالف معظم آياته.

وبما أن القرآن يأمركم في سورة البقرة:

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾.

وفي سور الحج:

﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾.

فلا ضير في اتباعكم منهج رد الاعتداء بنفس الأسلوب الممارس عليكم، تدمير بتدمير، وقتل بقتل، وإرهاب بإرهاب، لتحرروا أرضكم ولترفعوا رؤوسكم بين الأمم التي استضعفتكم، ولتعيدوهم إلى جحورهم خاسئين.

○ ○ ○ ○ ○

من هم الإرهابيون

تكلمنا في العناوين السابقة عن مختلف أشكال الإرهاب ودوافعه العقائدية والغرائزية، وتطرقنا إلى بعض الأمثلة عن كل شكل من أشكاله، ثم دخلنا في تفصيل ما جاء في الكتب السماوية من تعاليم تؤيد أو تمنع القيام بأعمال إرهابية.

بعد هذا التفصيل الدقيق أصبح من السهل الفصل بين الإرهابيين الحقيقيين الذين يعتدون على الحرمات والمقدسات البشرية وبين المقاومين المدافعين عن أوطانهم ضد هذه الهجمة البربرية التي تستهدف أرضهم ومقدراتهم.

ولتوضيح الأمور أكثر فأكثر، سأحاول طرح بعض الأسئلة على هذا العالم الاستعماري، وأتمنى أن أجد ردوداً عليها حتى أستطيع عرض الصورة الدقيقة التي تمثل واقع الدول الاستعمارية التي يجب تعريتها أمام العالم الذي طالما انخدع بأكاذيب الصهيونية العالمية ومن يدور في فلكها من الاستعماريين الغرائزيين.

سأسأل أولاً عن الخطر الذي كانت تشكله فييتنام على فرنسا والولايات المتحدة الأميركية، وتحت أي شعار شنتا عليها الحرب التي دامت حوالي نصف قرن من القتل والتخريب والتنكيل والإبادة، وبالطبع فإن مسرح المعركة كان على أرض فييتنام والقتلى هم رجالها ونساؤها وأطفالها.

وأسأل الولايات المتحدة الأميركية عن الحكمة من تقسيم كوريا وافتعال حروبها والمشاركة المباشرة فيها؟

وهل أن كورياً كانت تشكل خطراً على أرض الولايات المتحدة الأميركية وشعبها أم أن العكس هو الصحيح؟

وأسأل الولايات المتحدة الأميركية كم مرة هاجمتها دول أميركا الوسطى والجنوبية حتى توظف ضدها هذا الكم الهائل من العملاء والمفسدين والمرتزقة ليعيثوا فساداً في أنظمتها ومقدراتها السياسية والاقتصادية؟

وأسأل الولايات المتحدة الأميركية وحلفاءها من الأوروبيين، كم مرة غزت الأساطيل الإسلامية بلدانكم، وكم مرة قصفت طائرات الأمة الإسلامية مدنكم وقراكم؟

وأسأل الولايات المتحدة الأميركية، كم مرة هاجم الأفارقة سواحلكم وسرقوا أبناءكم وساقوهم للبيع عبيداً في أسواق النخاسة والرقيق كما فعلتم أنتم بهم؟

وأسأل الإستعمار الأميركي والأوروبي بأي ذنب قتلتم عشرة ملايين مسلم في ديارهم وما زلتم تقتلون؟

وأسأل جميع أجهزة الاستخبارات الصهيونية والاستعمارية من وزع ويوزع الجمرة الخبيثة وفيروس الإيدز والإيبولا والسارس؟

وأسال الدول النووية، هل تعتبرون أسلحة الدمار الشامل أسلحة دفاعية، وهل يصح استعمالها كمنظومة دفاعية، أم أنها أسلحة محض هجومية، وبالتالي فهي أدوات إرهابية بامتياز؟

وأسأل الصهيونية وجميع المستعمرين، بمال من يتنعم أبناؤكم، وعلى حساب من بنيتم اقتصادكم؟

فماذا أسأل بعد ذلك؟

وكيف يمكنكم أن تجاوبوا؟

فأنتم شعوب تتحكم بها الغرائز العدوانية الممزوجة بالحقد والتعصب ضد الإسلام والمسلمين.

وأنتم شعوب تحكمت بها غريزة التملك فأعمتها عن أبسط مفاهيم القيم والعدالة حتى بتم تدمرون العالم لتتمتعوا به كسلعة اقتصادية إشباعاً لغرائزكم اللاإنسانية.

نعم هذا أنتم يا أرباب الظلم والإرهاب.

يا من تدعون الحضارة ولا تعرفون من جميع مقوماتها إلا اسمها البعيد عن أخلاقياتكم ومقدراتكم الإنسانية.

فهل فعلاً تعرفون من أنتم في هذا العالم الذي أرهبته سطوة آلتكم العسكرية المدمرة، الموجهة بقرارت حكامكم الغرائزيين الحاقدين؟

فإن صوّرتكم فلسفتكم على أنكم شعوب متحضرة فلا تنغروا بهذه الفلسفة المخادعة ولا تصدقوا شروحاتها قبل أن تسمعوا رأي العالم بكم؛ لأن العالم الذي تستعبدون يمتلك من الشهادات ما يكفي لجعلكم تحتقرون أنفسكم عندما يضعكم أمام ضمائركم ولو لمرة واحدة عبر تاريخكم الطويل المليء بمواقف الخزي والعار الناجم عن تعاطيكم مع العالم الذي تدمرون.

فمن أنتم في هذا العالم وكيف يراكم ويشهد على حضارتكم؟

طبعاً ستقولون نحن أمة حضارية، هدفها ممارسة العدالة والديموقراطية، وزينتها الإيمان واحترام النفس البشرية.

أما العالم فبماذا يشهد بكم وماذا يقول؟

سيقول عنكم أنكم شعوب بربرية إرهابية، ويقدم ضدكم الدلائل والشهادات التي مهما حاولتم إنكارها أو تجميلها فإنها ستخذلكم لأن حقيقتكم أمرّ من أن تخفى أو تجمل بعد هذا التاريخ الطويل من الغدر والطغيان.

وسيدلي بما لديه من شهادات العدالة والحضارة والديمقراطية التي مارستموها ضده والتي كان أهمها:

شهادة من الهنود الحمر والزنوج وسكان أوستراليا الأصليين.

شهادة من هيروشيما وناكازاكي.

شهادة من دير ياسين والقدس وجنين.

شهادة من سيناء وبور سعيد والإسماعيلية.

شهادة من قلعة جانجي وبيوت الطين التي لازالت تحتضن جثث المسلمين الأفغان.

شهادة من ملجأ العامرية ومطار بغداد.

شهادة من صبرا وشاتيلا وقانا.

شهادة من السجون الإسرائيلية وسجن أبو غريب.

شهادة من القرآن الذي يدنس على أيدي اليهود والأميركيين في سجون الظلم والطغيان.

شهادة من المسجد الأقصى ذلك الأسير الذي قل مناصروه في عهد أمتنا المتخاذلة.

شهادات من دماء جميع الشهداء الأبرار من الأمة الإسلامية في الشرق الأوسط وإفريقيا والبلقان وشرقي آسيا.

وجميعها تشير بكلتي يديها إلى الولايات المتحدة الأميركية، والمملكة المتحدة البريطانية، وإسرائيل والصهيونية العالمية، صارخة بصوت واحد، هؤلاء هم الإرهابيون.

فالمسلم ليس إرهابياً:

فما هو سلاحه الذي يقاومكم به؟

وعلى من يمارس الإرهاب منكم؟

وأين يمارس الإرهاب؟

وعلى أرض من يسيطر؟

وهل هاجمكم أحد من المسلمين في بلادكم ولو لمرة واحدة بعد حروب الفتح الإسلامي التى دعتكم إلى عبادة الله؟

ولماذا تتهمون المسلمين بالإرهاب وهم أكثر الناس حرصاً على قدسية النفس البشرية؟

فيا أرباب الظلم والضلال: كَذِبٌ ما تدعون فالمسلمون ليسوا إرهابيين

حسب مفاهيمكم المضللة، إنما هم أمة مظلومة شاء لها القدر في زمن حداثتكم أن تحارب على محورين:

محور داخلي متمثل ببعض أنظمة الحكم المهادنة للاستعمار على حساب عقيدتها وتطلعات شعوبها.

ومحور خارجي متمثل بالاستعمار نفسه، الذي يحتل أجزاء كبيرة من تراب العالم الإسلامي، محاولا السيطرة على جميع مقدراته الاقتصادية والسياسية والفكرية وحتى العقائدية.

فالمسلمون ليسوا إرهابيين بل أنتم الإرهابيون.

والمسلمون لا يحتلون بلدانكم إنما أنتم المحتلون.

ولا يهاجمون شعوبكم بل أنتم المهاجمون.

ولا يغتصبون أرضكم فأنتم المغتصبون.

ولا يدمرون مدنكم وقراكم بل أنتم المدمرون.

ولا يقتلون شيوخكم ونساءكم وأطفالكم في بيوتكم إنما أنتم القتلة المعتدون. وأنتم من يعتبر دفاعهم المتواضع بحجر أو بندقية فردية أمام آلات دماركم إرهاباً.

أولم يعلمكم دينكم وثقافاتكم أن الطفل الفلسطيني والعراقي واللبناني والأفغاني وجميع أطفال المسلمين لهم نفس شعور أبنائكم وحقوقهم، حتى ترتدعوا عن قصفهم بطائراتكم وترويعهم بآلتكم العسكرية الحاقدة؟

أم أن عدالتكم لا تعيش نعيمها إلا بقتل المسلمين وأطفالهم، وسفك دمائهم، ونهب مقدراتهم إشباعاً لغرائزكم العدوانية المقنعة تحت ستار العدالة المزيفة، التي لا تعرفون من صفاتها إلا الاسم؟

وهل يمكن أن يمارس إرهاب في العالم يضاهي إرهابكم الذي تمارسه حضارتكم أو عدالتكم التي اعتبرت العملية على برجي التجارة العالمية عملاً إرهابياً يجب تغيير سياسة العالم أجمع بسببه، ولم تر في إزالة هيروشيما

وناكازاكي بجميع سكانهما من الوجود سوى عملية عسكرية؟

وهل فكر أحد منكم يوماً بأطفال العراق ونسائه وشيوخه كيف يموتون بالمئات يومياً وعلى أيدي من يقتلون؟

طبعاً ليس من مصلحتكم أن تعرفوا إلا ما تمليه عليكم غرائزكم العدوانية ضد المسلمين، هذا الهدف السهل المتخاذل الذي تُرضون به غرور قادتكم بقدرتهم العسكرية، وتملؤون من خيراته خزائن أموالكم.

وأخيراً وبكل حرقة ولوعة على هذه الأمة الإسلامية المفككة، المتخاذلة، الجبانة، لا يسعني إلا أن أحيي أرواح شهدائها الأبطال الذين قاوموا الظلم وضحوا بأنفسهم بكل عزة وكرامة حتى يرفعوا ما أمكن من الظلم والعار عن هذه الأمة، وفي نفس الوقت أتوجه إلى قادة الأمة وأقول، بئس الأنظمة التي تتحكم بالمسلمين وبئس المناصب التي تتمسكون بها، وبئس الجيوش التي تقودونها ولا تهب دفاعاً عن كرامة شعوبها وشرف أمتها المستباح

○ ○ ○ ○ ○

الخاتمة

ختاماً للبحث سأتوجه برسالتين الأولى إلى القيمين على أمور المسلمين، والثانية إلى أرباب الظلم من الصهاينة والمستعمرين.

فلقادة الأمة أقول:

أمتكم تدمر، وشعبكم يقتل، ومقدراتكم تنهب، ومقدساتكم تنتهك، وأرضكم تغتصب، فماذا تنتظرون؟

فإذا احتلت أوطانكم كفلسطين وأفغانستان والعراق وغيرها فماذا تصبحون، وماذا سيحل بمناصبكم وعروشكم، وماذا سيكون مصيركم؟

أولا تعرفون شعوبكم وتعلمون أنهم أهل الجهاد والشهادة التي تنجيكم وإياهم من نير العبودية الآتي مع السلام الأميركي الصهيوني؟

وماذا ينقصكم حتى تتوحدوا وتتآخوا مع شعوبكم لتواجهوا يداً واحدة أطماع الغزاة والمستعمرين؟

فيا قادة الأمة يجب أن تعلموا أن علة الذل والتخاذل والاستسلام والفقر والاضطهاد وعدم المساواة وضعف قدراتنا العسكرية لم تفرض علينا من الاستعماريين ولكنها حصيلة مئات السنين من استهتاركم بهذه الأمة وحقوقها المفروضة شرعاً في كتاب الله ﷻ.

ثم أنتقل إلى أرباب الغدر من الصهاينة والمستعمرين وأقول:

طال غدركم يا حماة الديمقراطية واستفحل ظلمكم، وتكشفت نواياكم الغرائزية بأبهى صورها عندما دفنت مليوني طفل عراقي جوعاً أثناء فترة الحصار، وأثبتم حضارتكم عن جدارة في اغتصاب النساء المسلمات في حروب البلقان، وعندما ملأتم العالم الإسلامي بالمقابر الجماعية التي جادت

بها قواتكم العسكرية وآلات دماركم على المسلمين، وها هي اليوم مخابراتكم تمول المذابح في المساجد العراقية والباكستانية وتنفذها لخلق الفتنة بين المسلمين، وها أنتم تنهبون أرضنا وتأكلون خيراتنا مع الأسف برضى بعض القيمين على أمورنا، ولكن اعلموا أن هذا الأمر لا يمكن أن يطول.

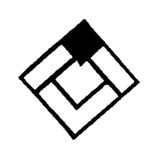
فيا أيها الإستعماريون، إعلموا جيداً أن الإسلام الذي تحاربون هو أقوى وأكبر من أن يقهر؛ لأن المسلمين يؤمنون بأن الحياة الدنيا حياة ممر لا حياة مقر، وعبادتهم وعملهم فيها ليس لذاتها بل لما يليها من نعيم الآخرة، فمن يؤمن بالجنة يجب أن يعمل لها بكل ما أوتي من قوة، ملتزماً بكامل شرع الله ﷻ، فلا الموت يخيفه لأن الموت في سبيل الدين والعقيدة شهادة والشهيد في الجنة، ولا الظلم يردعه لأنه لا يقبل الذل ولا يرضى أن يتخذ له ولياً ممن يعصون الله، ولا السلاح يرهبه لأنه صاحب حق وعقيدة، ويشهد بذلك الحجر الذي واجه أعتى آلات الدمار الإسرائيلي في أرض فلسطين.



المراجع

المرجع: المؤلف

١ ـ القرآن الكريم
٢ ـ الكتاب المقدس
٣ ـ قانون العقوبات اللبناني
٤ ـ التلمود: آ. كوهين، تعريب د. سليم طنوس.
٥ ـ بروتوكولات حكماء صهيون: الأستاذ عجاج نويهض.
٦ ـ بل هي حرب على الإسلام: الدكتور محمد عباس.
٧ ـ الصهيونية غير اليهودية: ريجينا الشريف.
٨ ـ أربع كتب في الماسونية: شاهين بك مكاريوس.
٩ ـ الماسونية: سعيد الجزائري.
١٠ ـ تبديد الظلام أو أصل الماسونية: عوض الخوري.
١١ ـ الماسونية منشئة ملك إسرائيل: محمد علي الزعبي.
١٢ ـ السر المصون في شرعة الفرمسون: الأب لويس شيخو.
١٣ ـ الماسونية ذلك العالم المجهول: الدكتور صابر طعيمة.
١٤ ـ السيرة النبوية: ابن هشام.
١٥ ـ السيرة النبوية: الشيخ محمد متولي الشعراوي.
١٦ ـ التاريخ العسكري لبني إسرائيل: اللواء الركن د. ياسين سويد.



المحتويات